وما زال
القلب حيًا

دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان : مدينة العبور - الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١

هاتف : 010003288596

بريد إلكتروني : Dream.pen92@gmail.com@yahoo.com

وما زال القلب حيًا

شيماء فرح

الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٢٠م

غلاف : إسلام مجاهد

التدقيق اللغوي: نشوه أبوالوفا

التصميم: الديوان للتصميم وخدمات النشر

رقم الإيداع : ؟؟؟؟ / 2019

I.S.B.N: 978-977-488-???-4

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذن خطي من الدار

وما زال القلب حيًا

رواية

شيماء فرح

DREAM PEN
FOR TRANSLATION & PUBLISHING
AND DISTRIBUTION

إهداء....

إلى الرائعين الساكنين بين الأقواس.....

«إلـى الراحل الباقـي أول من علمنـي حروف الهجاء...سـتظل دائما بقلبي أبي الغالي....»

«أمـي كـم عانيتـي مـن أجـل سـعادتى...أدامك اللّه لتنيـرى حياتي....»

«زوجى الحبيب (هشـام الأبيض) دعمتني وساندتني و تحملت الكثير من أجلنا جميعا....»

«صديقاتـى الغاليـات (مـروة نصـار، ألاء الشـناوي، ورده، حنان، ياسـمين، مروة، عـلا) أرهقتكـم كثيـرًا حتـى يكتمل عملى... أدام اللّه جمعتا هذه....»

«أمى الروحيـه (أميرة عفيفى) كثيرا مـا دعمتيني وحفزتني لأستكمل مشواري....»

«صديقتـى الصدوقـه (لبنـى ميـرزا) بدونك لم يكـن الحلم ليكتمل...»

«متابعيني الأعزاء شكرا لثقتكم ودعمكم الدائم لي....»

«شكروتقدير خاص... لنشوة أبو الوفا...»

«شكر وتقديرخاص للمصمم المبدع...مجدى عزمى»

شيماء فرح

الفصل الأول

صرخات متقطعه انطلقت من بين شفتي تلك الصغيرة تصحبها آهـات تدل على شـدة تألمها ظلت تتلوى بجسـدها الضئيل تحت جسد ذلك الوحش المفترس..

لا يصح أن نصفه بالإنسـان فأشـرس الحيوانات لها مشاعر، أما ذلك المتدني أخلاقيا وإنسـانيا لم يهتز قلبه لثانية بالرغم من محاولاتها الواهية المسـتميتة، للدفاع عن نفسـها من براثن ذلك الذئب البشرى..

بكـت الصغيـرة صارخـة بأعلى صوتهـا محاولـة الدفاع عن شـرفها الذى يحـاول انتهاكه، ظلـت تصرخ وتسـتحلفه باللّه أن يتركها:

ـ بـاللّه عليك أنا زي أختك، ده أنـا عيلة واللّه، واللّه عيله أنا شكلي هو إللي كبير.

وما كان منه غير أن صفعها صائحا:

ـ بـس يابـت ماتصدعنيـش إخرسـي خالـص مـا فيـش حـد هينجدك مني.

قالهـا وهو متأكـد من حديثه فهـا هو معها بسـيارته المعدة لنقل الركاب بالأجرة.

نعـم هو سـائق وهي فتاة انتهت من درسـها وقررت أن تسـتقل سـيارة للعـودة لمنزلهـا، لم تقتـرف أي ذنب حتى تعاقب بأبشـع

الطرق وتنتهك خصوصيتها وجسدها..

أما هو فاستغل ذلك الهدوء السائد بالطريق ما بين المنطقة مقر درسها و ما بين منزلها والتي يعرف عنها ازدحامها صيفا وافتقارها للمارة شتاءًا ، وانحرف بسيارته لأحد الشوارع الجانبية معللا أنه سيعبئ خزان سيارته بالوقود لم تنتبه الفتاة وبقيت بالسيارة وكأنه القدر معاندًا لطموحها وبرائتها.

علت صرخاتها وأشتدت آناتها حتى خرجت صرخة مدوية معلنة عن فقدها عذريتها ،معيدة له وعيه الذي فقده من كثرة تناول الأقراص المخدرة محدثا نفسه:

ـ أنا إيه إللي عملته ده البت باين ماتت، أعمل إيه، أرميها هنا وأمشى.

لطم وجهه بكفيه الغليظتين و هو يرمقها بعيناه وهي فاقده للوعي لم يتحرك لها جفن، عاد لوعيه لكن بعد فوات الآوان.

تمر ذكرياته أمامه وكأنها شريط سينمائي...

حينما كان الطالب المتفوق الذي التحق بالجامعة محملا بآماله العريضة في الوصول لمركز متميز بين أقرانه، إلى أن تخرج ولم يجد عملا ، فاحتل مقاعد المقاهي فترات طويلة حتى حامت حوله تلك الرفقة من أصدقاء السوء، البلطجية، مروجي جميع أنواع المخدرات و أحاطته متمكنة منه لتجره للوحل.....

تذكر أول مرة تناول بها تلك الأقراص، وكيف أقنعه صديقه بها ، كيف أوهمه أنها ستنسيه كل أوجاعه، ستجعله يحلق بالسماء ليلمس نجومها ، ستنسيه اسم حبيبته التي تركته

من أجل افتقاره للمال و ضيق ذات الحال.

لـم يخرجـه من شـروده غيـر أصـوات الهمهمـات المعلنة عن اسـتيقاظها ومـا كان منـه إلا أن دفعهـا خـارج سـيارته ملقيـا بجسدها فوق الأرض الرملية وفر هارباً من فعلته المشينة.

ارتجـف جسـدها الشـبه عـاري فقـد مـزق جميـع ملابسـها وجردهـا مـن حجابها كما تجـرد من آدميته ، رمشـت جفونها ، أصبـح عقلهـا ما بيـن الوعي واللاوعـي ، الآن فقط شـعرت بآلام جسدها ، اسـتعادت ذاكرتهـا الدقائق السـابقة ، امتـدت يداها تلامـس قدميهـا لتنزلـق فى دمائهـا ومـا أن فتحـت عينيها حتى رأت مصيبتهـا متجسـدة فى خيط دماء علـى أصابعها .. ويا اللّه... يـا لهـا من كارثـة.. كيف سـتواجه والدها ذو الطبـاع الحادة؟؟ كيف ستروي له ما حدث؟؟ ، نظرت بعينيها للسماء المظللة على جسدها داعية اللّه أن تجد من ينقذها وليكون مايكون بعدها.

مـرت الدقائـق عليهـا كالدهر ولم يمـر بجوارهـا و لا حتى قطة.. فهل سيجدها أحد ؟....

حاولت مرارًا وتكرارًا أن ترفع جسـدها من على الأرض ولم تستطع حتى الإعتدال من رقدتها استسلمت لما هى عليه وسلمت أمرها لرحمة الخالق عز وجل.....

ولـم يخذلهـا من خلقها وسـواها ، وأرسـل إليها بتلك السـيدة الشـابة المـارة بسـيارتها ذاهبـة إلـى شـاليه المصيـف الخـاص بعائلتهـا والذي تتفقده ومحتوياته كل شـهر تقريبا للاطمئنان ، لفت انتباهها ذلك الجسد الأنثوي الملقى جانبا ترددت كثيرا أن

توقف سيارتها حتى لا تتحمل المسؤلية ربما تكون قتيلة ولكن حينما اقتربت بسيارتها أطفأت المحرك سمعت تلك الأنات الضعيفة الصادرة من الفتاة فهرولت تجاهها تهز جسدها وهي مصدومة من بشاعة منظرها والجروح الظاهرة بأنحاء جسدها صرخت بأعلى صوتها :

ـ مافيش حد يلحقنا البنت هتمووووووت.

ظلت مستمرة فى محاولة رفع جسدها ولكنها لم تستطع ، فمهما كان هى امرأة والأمر يحتاج لقوة رجل ، وقفت مستقلة سيارتها ذاهبة إلى الشاليه الواقع على بعد مسافة قليلة ، أيقظت الحارس الخاص به طالبة مساعدته :

ـ عم سعد تعالى بسرعه معايا.

رد مضطربا متوجسا خيفة من صوتها :

ـ فى حاجه حصلت يا ست رغد.

رغد وهي تدير المحرك مرة أخرى :

ـ تعالى اركب بس وأفهمك فى الطريق.

استقل سعد الكرسى المجاور لها وهو يردد :

ـ فهمينى حد عملك حاجة ؟ انتي خبطتي حد بالعربية ؟

وما أن ذكر لها سعد تلك الكلمات حتى انتبهت لما سيتهمها به الجميع ، ولكن بداخلها نزعة أمومية تحثها ألا تترك الفتاة فهي بعمر أولادها ، فتحدثت لسعد بلهجة آمرة حتى لا يتخلى عن مساعدتها :

ـ اسمع ياسعد في بنت لقيتها في الشارع إللي جاي ده ، إنت

كل إللي عليك تنقلها في عربيتي ومالكش دعوة بأى حاجة.

لم تكد تنهي كلماتها حتى فزع سعد من منظر الفتاة حينما وصلت السيارة بجوارها صائحا:

ـ دى ميتة ياست.. لا.... أنا هاسيب الشغل ولا إني اتسجن.

رغد بغضب:

ـ البنت عايشة وفيها نفس دي مضروبة بس.

سعد مستفهما:

ـ انتي خبطيها؟

رغد وهي تشير إلى الفتاة:

ـ ده منظر واحدة مخبوطة! إسمع كلامي، أنت أنقلها العربية وامشي وأنا هاوصلها مستشفى.

سعد وهو يقترب من الفتاة واضعا يده تحت رأسها واليد الأخرى أسفل ركبتيها:

ـ دى حد معتدي عليها يامدام ربنا يستر على ولايانا.

رغد بحزن:

ـ استرها يارب، دخلها يا سعد وأنا هتصرف.

وما كان من سعد سوى تنفيذ الطلب فوضعها بالسيارة عائدا لعمله تاركا إياها لربة عمله واثقا بقدرتها على التصرف.

استقلت رغد سيارتها بطريق العودة من منطقة العجمى غرب الإسكندرية إلى أقرب مشفى مهاتفة زوجها المستشار إيهاب رضوان حتى يعينها بهذا الموقف فدائما كان العون والسند ما

أن رأى إيهاب اسمها على شاشة هاتفه حتى بادر قائلا:

ـ سلام عليكم، الجميل رجع وإلا لسة فى الشاليه.

أجابته رغد بصوت يملؤه الاضطراب:

ـ وعليكم السلام..إيهاب أنا محتجالك أوي.

فزع إيهاب من نبرة صوت زوجته فلقد عهدها قوية حازمة فأسرع بالرد:

ـ خير يارغد إنتي فين.

جاءته الاجابة ودموعها تنهمر على وجنتيها:

ـ أنا راجعة من العجمي..وقصت له ما حدث.

رد إيهاب محاولا ضبط انفعالاته فهو يعلم جيدا أن زوجته لن تتراجع عن مساعدة أي شخص يحتاجها:

ـ تمام يا رغد أقرب مستشفى ليكي هتكون فى الدخيلة اطلعي على هناك وأنا هحصلك حالا.

استمعت رغد لكلمات زوجها متجهة بسيارتها كما أبلغها، وصلت أمام المشفى.. طلبت سرير لنقل المرضى، وما أن وصلت إلى غرفة الطوارئ إلا وخلفها زوجها فلحسن حظها كان بموقع عمله بمبنى نيابات الدخيلة قريباً من المشفى

❖ ❖ ❖

أما بهذا الحي الشعبي وبداخل إحدى مبانيه السكنية ارتفع صوت حاد، لا يعرف التهاون صعيدى الأصل زاجرا زوجته:

ـ شوفتى بنتك، كل ده في الدرس؟!! انتوا بتخبوا عليا

كل مرة إنها بتتأخر، لكن ربنا كشفكم ورجعت أنا النهارده بدري عشان أكشفكم.

نفت الأم المسكينة عن نفسها وابنتها تلك التهمة البشعة بنظر زوجها:

ـ والله العظيم أبدا، ده أنا مش بخبي عنك الهوا، والبت والله عمرها ما أتاخرت، جايز يكون المدرس آخرهم وإلا المواصلات، دى جاية من أبو يوسف برده.

رد غير مقتنع بحديثها:

ـ وايه إللي يوديها درس بعيد كده؟ إيه مافيش مدرسين قريبين من البيت؟!!

الأم محاولة تهدئته:

ـ والله يا حاج ده المكان الوحيد إللي كان فاضي، إنت عارف إن الثانوية العامة دى بيحجزولها قبلها بشهور..

رد غاضباً:

ـ المهم هاتيلي رقم حد من صحباتها أكلمهم الوقت بيتأخر والدنيا ضلمت.

هرعت الأم إلى غرفة بناتها منادية ابنتها الكبرى تسألها عن مطلب أبيها:

ـ هبة، يا هبة شوفي يا بنتي أرقام تليفونات أصحاب أختك، أحسن أبوكى قالب البيت بره والله تيجى بس مقصوفة الرقبة دى وأنا هكسرلها عضمها.

ردت هبة قلقة و غاضبة من موقف والدتها:

ـ إيه يا ماما تكسريها ليه ؟هي طول عمرها ملتزمة، عمرها ما إتأخرت، أكيد فى حاجة، ده بدل ماتقولي ربنا يسترها عليها.

نهرتها الأم:

ـ إنتى هتدينى درس، يالا بسرعة هاتي الأرقام، تليفون أختك مقفول، أبوكى اتصل عليه كتير وكل شوية الست تقول الهاتف مغلق أو غير متاح.

حركت هبة رأسها إشفاقا على قلة حيلة والدتها وضعف شخصيتها أمام والدهم فهي الزوجة الريفية التي لم تكمل تعليمها ومن البداية اختارتها والدته له لقلة حيلتها وحتى يستطيع تطويعها على حسب طباعه.

عبثت الأخت الكبرى بهاتفها حتى وصلت لقائمة البيانات وأمسكت بقلم وورقة، خطت بها أرقام صديقات أختها واسمائهن، ثم مدت يدها حاملة الورقة معطية إياها لوالدتها.

خرجت الأم مسرعة حيث يجلس زوجها يطلق العنان للأدخنة المتصاعدة من لفافة التبغ بفمه تاركا الشيطان يتلاعب بأفكاره ويتوقع من ابنته ما ليس بها.

لحقتها ابنتها منتظرة ماسيفعله والدهم، ولم يخرجهم من هذا الصمت غير اهتزاز هاتفها بيدها معلنا وصول اتصال من رقم غير مسجل.....

انتفض قلبها وكأنه يشعر بماستتضمنه تلك المحادثة ضغطت زر الرد رافعة هاتفها إلى أذنها بأيدي مرتعشة مرددة:

ـ السلام عليكم.

رد عليها الطرف الآخر السلام مكملا:

ـأنا المستشار إيهاب رضوان أختك اديتنا رقمك هي في مستشفى.....

هبة بفزع:

ـ اختى ما.....

ما أن سمع والدهم ذكر إبنته بشئ حتى جذب الهاتف من ابنته مكملا الحديث:

ـ أيوة إنت مين ؟وبنتى فين؟

رد إيهاب في محاولة منه لبث الطمأنينة في قلب الوالد:

ـ إهدى يا أستاذ، بنتك هنا في المستشفى، وتقدر تيجى حالا تشوفها.

وأبلغه بمكان المشفى ورقم الغرفة.

رد الأب بلهفة وبداخله تشتعل براكين الفضول حول سبب وجود ابنته بالمشفى:

ـ أنا جاي علطول.

لم يرد إيهاب إخباره بما حدث لابنته هاتفيا وإفزاعه وفضل أن يعلم بعد رؤيتها، ربما حالها الآن يهون عليه مصيبته فيما حدث..

ألقى الوالد الهاتف لابنته والتى بالكاد إلتقطته قبل أن يصطدم بالأرض وأسرع يرتدى ملابسه لتوقفه زوجته ببكائها ونحيبها مصاحبا لحديثها:

ـ خدنـي معاك يا حاج أطمن على بنتي أنا مش هقدر أسـتنى هنا لحد ماترجعوا ، وإلا تكون بنتي ماتت والراجل ده مش راضي يقول.

أشفق الزوج على حالها وتحدث بلهجة آمره:

ـ البسي عبايتك بسرعة وإلا همشي وأسيبك.

ثم أكمل حديثه لابنته:

ـ وانتـي اتصلـي بأخوكـي بسـرعة ، قوليله يسـيب شـغله ويحصلني على المستشفى.

نفـذت هبة ماقاله والدها وأسـرعت بمهاتفـة أخيها فهي على يقيـن أن أخيهـا الوحيـد القادرعلـى ردع والده عن غضبه وسـوء تصرفـه ، فهو الابن الأكبر والولد الوحيد ودائما والدهم يفتخر به ويتباهى برجولته في المواقف وثقافته ورجاحة عقله.

وصـدق حقا فـى هذا فهـو كان لهـم دائما نعم الأخ والسـند ولوالـداه خير عون ، بعكس والـده العصبي الذي لا يتفاهم ورأيه نافذ دائما.

وماهي إلا ثواني وأجابها أخيها:

ـهوبـة حبيبتي ، بتكلمينى فى الشـغل ليـه ؟ياترى عاوزة إيه اجيبهولك وأنا راجع ؟.

هبة ببكاء:

ـ محمد بابا بيقولك حصله على مستشفى.....

محمد بفزع:

ـ ليه ياهبة بابا تعب، وإلا ماما رجعتلها أزمة القلب.

هبة بخوف على أختها:

ـ ماما وبابا كويسين، سما هي اللي في المستشفى.

ابتلع كلماتها بألم يعتصر كيانه فكيف له ألا يتذكرها وهي لم تهاتفه كعادتها حينما تنتهي من مدرستها ودروسها لتطمئنه، كيف إنشغل بعمله عن صغيرته.....

سمائه....نعم هي سمائه وجنته....

هي من ولدت على يده، هي من أعتنى بها مع أخته هبة، ويعتبرها إبنته وليست أخته الصغرى أعاده صوت أخته لواقعه وهي تردد:

ـ محمد....محمد....محمد إنت سامعني ؟!!

رد محاولا تمالك رباطة جأشه:

ـ أيوة ياحبيبتي أنا معاكي، طيب انتي متعرفيش جرالها إيه ؟

ردت نافية:

ـ لأ اللي كلمنا ماقالش حاجة، بالله عليك تلحقها إنت عارف بابا كويس وأكيد هتكون محتجالك.

محمد بأسى على حال أختيه:

ـ حاضر ياهبة ما تقلقيش أنا قفلت مكتبي وهاتحرك حالا، هبة خليكي أنتي فى البيت علشان لو احتجنا حاجة أكلمك تجيبيها.

ردت باستسلام:

ـ حاضر، ربنا يسترها ويعديها على خير.

أبلغت هبة والدها أن أخيها أغلق عمله وأنه سيلحقه بالمشفى، خرج كل من الوالدين مسرعين إلى أقرب سيارة بالأجرة تقلهم حيث مكان تواجد المشفى.

وبنفس الوقت كان محمد أيضا بطريق آخر لاحقا بوالداه.

وصلا أخيرا إلى مكتب الاستقبال فقام الوالد بسؤال الموظف المسؤول:

ـ أنا بنتي جت عندكم ومش عارف هي حادثة وإلا إيه اسمها سماء إبراهيم الخولي.

نظر الموظف بالأوراق الموضوعة أمامه وبحث بكشف المتوافدين للمشفى اليوم ثم رفع نظره لوالدها مجيبا سؤاله:

ـ أيوة يا أستاذ بنتك هتلاقيها في العناية المركزة بالدور الثاني على إيدك اليمين.

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

خـرج الأب مهـرولا حينمـا اسـتمع لكلماته وعلـم أن مصابه فـى ابنتـه ليس بهين، أما الأم فتماسـكت بالـكاد وقد إرتفعت نبضـات قلبها كطـرق الطبـول وزادت رجفة جسـدها مصاحبة لبكائها ونحيبها وهي تردد:

ـ اللهم أجرني في مصيبتي، اللهم أجرني فى مصيبتي.

صعدا السـلم ولم ينتبها لوجود المصعد الكهربائي بحثا عن الـرواق الموجود به غرفة العنايـة المركـزة وحين وصولهم وجدا من ينادى بإسم الأب:

ـ أستاذ إبراهيم....أستاذ إبراهيم.

التفـت لـه الأب، والأم مازالـت تبحث بعينيها، وهـي تكاد لا ترى أمامها من شدة البكاء وتجمع الدموع بعيناها.

إقتـرب الأب مـن هـذا الرجـل الوقـور الملامح مهنـدم الهيئة والملبس الذي يبدو عليه الاحترام والهيبة متحدثا:

ـ نعم حضرتك بتنادينى أنا، إنت إللى اتصلت بينا ؟.

إيهاب وهو يمد يده ليصافحه ويربت بيده الأخرى على كتفه:

ـ أيوة يا أسـتاذ إبراهيم أنا إللي كلمتك، تعالى شـوف بنتك ووالدتها تشـوفها، هي حالتها دلوقتي أحسن وإن شاء الله تكون بخير.

إصطحبهم إيهاب إلى نافذة من الزجاج تطل على السرير الراقدة به إبنتهم فاقدة للوعى إثر الحقن المهدئة للأعصاب التي اضطر الطبيب لإعطائها إياها حال تذكرها للحادثة حتى تهدأ ثورتها.

حين نظروا من النافذة الزجاجية وشاهدوا إبنتهم تعالت صيحات الأب وهو يجذب يد إيهاب:

ـ إنت خبطتها بعربيتك وإلا عملت إيه فى بنتي، رد عليا أنا مش هسيبك.

إستمعت لتلك الصيحات السيدة رغد التي وجدتها ونقلتها إلى المشفى فأسرعت لتقف حائلا بينهما فهي من زجت بزوجها فى مثل هذا الموقف وحاولت جاهدة تهدئة إبراهيم ولكنه لم يهدأ وظل يصيح:

ـ أنا هطلبلك النيابة، أنا مش هسيب حق بنتي.

لتصرخ به رغد بحزم:

ـ بس، إسكت شوية، إفهم الموقف، إنت بتتكلم بس مش بتسمع بيقولك إيه، وأنت مكمل فى غلطك، ده جوزى المستشار إيهاب.

التفت الأب جاحظ العينين الى زوجها الذي قال:

ـ مش أنا ومقدر جداً موقفك وخوفك على بنتك.

أكملت رغد:

ـ أنا اللي.....لم تكمل كلماتها..

حتى قاطعها إبراهيم مرة أخرى صائحا:

ـ يبقى انتي اللي خبطتيها ، حرام عليكم ، اتعلموا السواقة الأول وإلا علشان ربنا عاطيكم شوية فلوس هتدوسوا بيها على الناس.

هزت رغد رأسها بأسف على عقل هذا الرجل وتسرعه في الإستنتاج مما جعلها لا تستطيع مجادلته وعلمت أن مهمتهم صعبة فى إخباره ما حدث لإبنته لكنها إستجمعت شجاعتها وصاحت به :

ـ إسكت بقولك ، بنتك مافيش حد خبطها بعربيته ، بنتك لما لقيتها كانت مرمية فى الشارع مغتصبة ، فاهم يعني إيه مغتصبة ، رماها الكلب بعد ما هتك عرضها.

نزلت كلماتها كالصاعقة على الأب ، فيما إنتبهت الأم التي ما زالت واقفة أمام الزجاج تنظر لابنتها ولم تحرك ساكنا أثناء الخلاف والمشادة بينهم وما حركها غير تلك الكلمة (مغتصبة)....

ابنتها صغيرتها تم الاعتداء عليها ، انتهك حيوان براءتها ، تحركت بجسدها بتثاقل وكأنها إنسان آلي يعمل بمحرك ، جسد بلا روح ، وجذبت رغد من ذراعها محدثة إياها بنحيب وبكاء :

ـ انتي بتقولي إيه ؟!!، بنت مين اللى إغتصبوها ، ومين إللى عمل فيها كده ، ردى عليا فهميني قولي إنك دوستيها بالعربية أرحم ليها وليا ، وأنا هسيبك تمشي ، بلاش تقولي إن بنتي مبقتش بنت ، أرجوكي ما تقوليش كدة.

كاد جسد الأم يتهاوى من شدة مصابها في إبنتها وهي تتمسك بجسد رغد تهزها بعنف وهي تنتحب بشدة مكررة

كلماتها :

ـ يعني إيه؟ بنتى ضاعت..... شرفها ضاع....لا أرجوكي قولي حاجة تانية.

وانحنت تقبل يد رغد تتوسلها ودموعها تنهمر :

ـ أرجوكـي قولي إنك دوسـتيها بالعربية غصب عنك....والله هترجى أبوها وأخليه يسـيبك تمشـي... بس متقوليش كدة على بنتي دي حافظة كتاب الله.... دى متفوقة في دراسـتها.... انتي ما عندكيش أولاد..اعتبريها بنتك إرحميها.

تهـذي الأم بكلماتهـا أمـلا أن تعتـرف رغد بذنب لـم تقترفه ترجوها ولا تعلم أن بدونها لكانت ابنتها فى عداد الأموات.

بكت رغد لما تشـعر به الأم وسـحبت يدها منها وهي تحيط بهـا بذراعيهـا وتعانقها مربتة على جسـدها المرتجف كي تهدأ ولكـن..... كيف لأم في مصابها أن تهـدأ بعد الأن.....لقد إنتهت حياة ابنتها قبل أن تبدأ .....

نظر كلا من رغد وإيهاب لذلك الأب المكلوم على ابنته فهل هذا هو نفسه من كان يصيح بهم..

لقد خارت قواه وجلس على الأرضية الرخامية للمشفى شاردا باللاشيئ أمامه مرددا :

ـ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

لم يستطع أيا من إيهاب أو زوجته الحديث فإتجه لجواره جالسا القرفصاء وظل يربت على ظهره عله ينتبه له ولكن لامجيب، أما الأم فأجلسـتها رغد ومـا زالت محتضنة لها وهـي تبكي بانهيار

على أحد مقاعد المشفى المخصصة للزائرين.

ظل الوضع على ماهو عليه حتى وصل محمد وكسر الصمت الذي عم المكان متسائلا:

ـ مالها سما حصلها إيه؟

مـدت الأم يدها إلى إبنهـا علها تجد حل بيده ينقذهم مما هم فيه، فأسـرع يتمسـك بيديهـا ويحتضنها فإنكمشـت في صدره وكأنهـا تختفـى عـن الكـون بأكمله، وهى تبكي وجسـدها يرتجف ضمها ولدها وأطبق عليها كالطفل بحضن أبيه، ولكنه أعاد سؤاله و الخوف على أخته يعصف به كإعصار استوائي:

ـ إهـدي يا أمـي وطمنيني على سـما.....هي أختـي ماتت وإلا إيه؟..... فهميني.

ثم نظر إلى والده وأعاد نظره إلى أمه قائلا:

ـ حد يرد عليا.

حركت الأم رأسـها يمينا ويسـارا تنفي مـوت ابنتها، ولكن إجابتها كانت أبشع من الموت ذاته:

ـ لا يـا محمد..... سـما اغتصبوها يا ابنـي.... أختك ضاعت يا محمد.

رفـع محمد رأسـه وقـد علـت الصدمـة وجهه، ثم مـا لبث أن إحتدت ملامحه ولسانه يهمس:

ـ اللهم أجرني في مصيبتي.

وما لبث أن رفع صوته غاضبا هاتفا بحسم:

ـ واللّه فى سماه لهشوف الحيوان اللي عمل فيها كدة وأنتقم لشرفها منه، مهما استخبى هلقاه وهاقتله.

ثم ضم أمه لصدره بقوة مؤكدًا:

ـ واللّه هاوصله وأقتله، شرف أختي مش هيضيع وقصاده عمره، وأختي أنا كفيل أحميها وأخرجها من اللي هي فيه.

كانت تلك الكلمات كالمنبه لوالده فها هو خسر شرف ابنته والآن سيخسر ولده وحياته أيضا، لابد أن يقف، آن الأوان أن يفيق من صدمته ويواجه مصابه.

حاول استجماع قوته وإعادة الاتزان لجسده مستندا بالجدران خلفه، لاحظه إيهاب فمد له يد العون رافعا إياه فأسرع عليه ولده يسنده، محيطا جسده بين يداه القويتين بعد أن أراح أمه بجوار رغد مرة أخرى متمتما بشفتاه:

ـ حق أختي هاجيبه، ماتتهزش ولا تقلق، إنت خلفت راجل.

لم تكن كلماته لتسعد والده بل ازداد فزعه وألمه واقتضبت ملامحه وازداد عمره ما بين لحظات لأضعاف.

تدخل إيهاب محاولا تهدئة تلك العائلة المكلومة بحكمته المعهودة:

ـ اهدى يابنى وبلاش تتهور وتضيع مستقبلك.

جاءت كلماته وكأنها طوق النجاة لوالدهم فأمسك بيد ولده يحثه أن يستمع لتلك الكلمات الرزينة ولكن تبدل حاله فور تكملة إيهاب لحديثه قائلا:

ـ إنت هتآخد حق أختك لكن بالقانون، المستشفى بلغت

الشرطة والنيابة زمانها فى الطريق لهنا ومتقلقوش من حاجة ، ربنا معاكم وأنا هاساعدكم بكل اللي أقدرعليه.

نظـر له محمد نظرة إمتنـان ، أما والدهم فلقد أخرج كلماته دون اختيارهـا منطلقـا بالصيـاح مرة أخرى ولكنـه صياح بدون قوة ، صياح خائف :

ـ لا يابيه متشكرين إحنا مش عاوزين منك حاجة كتر خيرك لحـد كدة ، إنـت والسـت بتاعتـك جميلكم على راسـنا ، لكن لحـد كـده كفاية ، مـش عاوزين حـق بنتنـا ، ولا عاوزيـن نعمل محضر ، وأنا هآخد بنتي وأمشي نروح بيتنا ، و نكفي على الخبر ماجور.

لم يوافقه إبنه الرأى فتحدث مخالفا له :

ـ إزاى الكلام ده يا بابا !؟ ، بيت ايه إللي نآخدها عليه وأختي بيـن الحيـاة والموت ، إزاي نسـيب حقها؟! علشـان مين وعلشـان ايه؟! خايف من كلام الناس !!! خلاص ياحاج يكون فى علمك هنخرج وهجيب حقها برده.

كل هذا الحديث ورغد تجلس مسـتمعة لا تريد التدخل فهى شـعرت بمدى ألمهم وخوفهم من أحاديث البشر اللا متناهية عن إبنتهم وكيف سـتكون سـمعتها وربما يتهمها معظم المحيطين بهـم بسـوء الأخـلاق أو إنهـا كانت علـى علاقة بذلـك الرجل ، تفهمـت وضعهم جيدا ولكـن آن الأوان أن تتحدث فهناك مصير شـاب آخر ربما ينتهـى بتهوره ، ومصير طفلة ملقـاه فاقدة للوعي تحتـاج الكثيـر حتى تعود حالتها النفسـية لما كانـت عليه ولن

تعـود أبدا فهـي الوحيدة التـى رأتها ، وتعرف كـم كان موقفها أبشـع مما يتصوره أحـد ، فقررت التحدث إليهـم جميعا للوصول لحـل وسـط يرضي هذه العائلة ، أسـندت جسـد والدة سـما على الجـدار خلفهـا وقفـت متجهة حيث يقـف زوجها بجـوار ابراهيم وولده مستمدة منه القوة لتبدأ حديثها :

ـ إستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم يا جماعة الأول.

تمتم الجميع مستعيذا بالله ، ثم أكملت:

ـ مينفعـش يـا أسـتاذ محمـد تقتلـه وتضيـع حياتـك ومسـتقبلك ، أختك محتجالك أكتر من الأول أنت ماشـوفتهاش وقـت مالقيتهـا كان حالها إزاى ، دي كانت واحدة فقدت الأمل وغمضت عيونها مستنية أجلها ، دلوقتي ربنا نجاها وجعلني سبب إنـي ألحقها وأجيبها على هنا يسـعفوها ، دي فـي حد ذاتها نعمة مـن ربنـا المفروض نحمده عليها إنها لسـة عايشـة ، زيدوا عليها إن اللحظـات إللي مـرت بيهـا ماكنتش سـهلة ، وأكيد هتحتاج لعلاج نفسي ، إنت عارف وقت ماجبت أختك على هنا المستشفى كانـت رافضة تسـتقبلها ، ولولا تدخـل إيهاب وإرغامـه لهم إنهم يقبلوها كان زماني لسـة مستنية دور فى أى مستشفى حكومي علشان دكتور يشوفها.

قاطع حديثها إبراهيم مستفهما كيف أبلغتهم بهاتف أختها.

فردت عليه رغد متذكرة تلك الساعات السابقة.....

ظلـت الفتاه تهـذي بين الوعـي واللاوعي والأطبـاء مجتمعون حولها :

ـ هبة الحقينـي ياهبة، ناديلي محمد، ياااااامحمد إبعده عني أنا بموت بتخنق اااااااه.

صفعها الطبيب عدة صفعات على وجنتيها حتى يعيد لها وعيها كاملا وحينما انتبهت إلى ما حولها:

ـ أنا هنا فين؟ انتوا مين ؟.

ارتفع صدرها وهبط إثر ازدياد تنفسها وخوفها:

ـ انتوا مين ؟.

ردت رغد تحاول طمأنتها:

ـ أنا معاكي حبيبتي ماتخافيش، لقيتك في الشارع، وجبتك هنا، أنتى كويسة ماتخافيش، انتي في مستشفى....

سألها إيهاب:

ـ انتي اسمك إيه؟.

ردت الفتاة بتشتت:

ـ سما إبراهيم الخولى

أكمل إيهاب حديثه:

ـ طيب يا سما تقدري تقولي عنوان أهلك أو تليفونهم.

شردت قليلا ثم حاولت أن تصل لجيب صغير بملابسها وحينما وجدته سليما كأنها وجدت كنزًا.

سألتها رغد:

ـ إنتي بتدوري على حاجة ؟! أساعدك.

ردت بسرعة:

ـ هتلاقـي هنا ورقة أختي بتحطها دايما فى جيبي علشـان لو جرالي حاجة.

وجـدت رغـد الورقة مـدون بها إسـم سـماء ابراهيـم الخولى وعنوان المنزل ورقم هاتف محمول مدت الورقة لزوجها وحادثهم.

أثنـاء مهاتفـة إيهاب لعائلة سـما تذكرت الصغيـرة ما حدث لها وظلت تصرخ بأعلى صوتها ، فما كان من الأطباء غير حقنها بالمهدئ حتى يستطيعوا السيطرة عليها ، وإيقاف النزيف.

سـردت رغـد ما حـدث لوالدها وأخيهـا على مسـامع والدتها أيضا ثم أكملت حديثها :

ـ الأول ودلوقتـي ياحاج وإنت يا أسـتاذ محمـد عاوزين تعملوا ايه؟ تفتكروا ينفع تسيبوا حق بنتكم وإلا إنت ياحاج هتقول زى إبنك و تقتله.

أجابها إبراهيم نافيا :

ـ لايـا سـت لا أنـا ولا إبنى هنقتـل حد ، مش هضيع مسـتقبل إبنى كمان علشـان واحد قذر زي ده ، صحيح أهلنا لو عرفوا إني ماأخدتش بتار بنتى ممكن هما اللي يقتلوني لكن سمعة عيالي ياهانم وحياتهم أهم عندي.

شـعر إيهاب ورغد بمشـاعر الأب وحاله وقرر إيهاب أن يتدخل ويبقي الوضع مؤقتا حتى تسـتعيد سما عافيتها متخوفا أن ينقلها والدها لمنزله حتى لايتعرض لتساؤلات النيابة فتحدث لهم قائلا :

ـ اسـمع ياحـاج أنـا هقولـك رأيي.....إنـت هتسـيب بنتـك تتعالج ، ولـو النيابـة وصلت أنا هاتصرف وأأجل اسـتجوابها لأنها

لسه ماإستعادتش وعيها ،ومن هنا لوقتها تكون هديت وقررت إنت وأخوها تصرفكم هيكون إزاىو على ضوء اللي هتقرروه أنا هاتصرف، عاوزين تمشوا قانوني وتبلغوا أنا معاكم، عاوزين تآخدوا البنت و تعتبروا إن البلاغ ما حصلش أنا معاكم.

وجد محمد أن هذا هو الحل الأرجح فأخته تحتاج العلاج ولن تناله كما يجب بالمنزل فتحدث مقنعا والده:

ـ بابا أنا شايف إن ده أحسن حل، وإحنا لسه برده مانعرفش أى تفاصيل عن إللي عمل كده.

ثم وجه حديثه لإيهاب:

ـ بس حضرتك فعلا هتقدر تعمل كده وتأجل تحقيقات النيابة.

إيهاب بثقة:

ـ اقدر يا محمد ماتقلقش.

ثم أخرج بطاقته التعريفية التى ما أن قرأ بياناتها محمد إلا وتأكد من استطاعة إيهاب فعل كل شيء.

❖ ❖ ❖

الفصل الثالث

بمكان آخر بهذا الحي المتواجد بوسط الإسكندرية والذى يدل على أن من يسكنه من الطبقة المتوسطة المستوى، عاد الشيخ محمود من المسجد بعد صلاة العشاء لتخبره زوجته عن عودة ابنه وتغير حاله، فلم يصح بها لإعداد الطعام كما يفعل فى الفترة السابقة بعد أن تبدل حاله من طالب مجتهد خريج كلية من أهم وأعرق الكليات كلية الاقتصاد والعلوم السياسية الشاب المصلي حافظ كتاب الله والذي صار مستهترا بعد أن تخرج ولم يجد العمل وصاحب رفاق السوء ثم أجبرها على تنازلها له عن جزء من قطعة الأرض إرثها من عائلتها وبيعها لشراء تلك السيارة التي يعمل عليها لنقل المواطنين بين الأماكن وبعضها بالأجرة لم يعد حال ولدها كما كان ولكن اليوم غير كل الأيام.

إرتخى جسد الشيخ محمود حين بدأت زوجته تحدثه عن ولده فقد سأم أفعاله ولكن كلامها أفاقه حين قالت:

ـ رجع من بره ولا زعق ولا طلب الأكل ودخل إستحمى وقفل على نفسه، وكل ما أقرب من الأوضة ياحاج أسمع صوت بكاه ولا كأنه عيل صغير، خوفت أدخل أكلمه وإستنيتك ترجع ليكون خبط حد بالعربية ومات ياأخويا، قوم بالله عليك شوف ماله.

فزع محمود من ما تنبأت به زوجته وتحرك من جلسته متجها لغرفة ولده طارقا بابها ولكن دون أن يلقى ردا وما سمعه حينما أقترب من مناجاة ولده لربه بالغفران جعله يسرع فاتحا إياه، ليجده جالسا على سجادة الصلاة رافعا يداه للمولى عز وجل يناجيه ربت على ظهره رافعا إياه جالسا به على سريره متسائلاً:

ـ مالك يا ابنى فيك إيه؟ ايه اللى حصل يخليك تدعى لربك كده؟ عملت إيه يامراد تستغفرعليه؟

طمنى ياابنى حد مات بسببك، أذيت حد، طمني يا حبيبي.

هز مراد رأسه نافيا موت أى شخص.

أعاد عليه والده سؤاله وهو يحرك جسده بهزات قوية:

ـ طيب قولي عملت ايه؟ ايه إللى بيبكيك زى الحريم كده!!.

انفجر مراد باكيا ناطقا بما لم يتخيله والده بأبشع كوابيسه:

ـ اغتصبتها..... اغتصبت بنت كانت راكبة معايا.

صاح والده به صافعا إياه عدة صفعات قوية:

ـ ازاى.... إنت بتقول إيه.... مين دي؟ تعرفها منين؟ رد عليا، كنت سايبك وبقول جواك نبتة

طيبة لكن يا خسارة هى فين دي، يا خسارة تربيتي فيك يا واطي يا قذر، انت لازم تتجوزها، قوم دور عليها.

كان وقع كلمات والده عليه كالصدمة.... يتزوجها....كيف له أن يصل إليها؟ وماذا سيفعل به أهلها حين يعلموا؟ وهل مازالت حية بعد أن ألقاها من سيارته؟.

خرج الشيخ محمود وترك ولده خلفه شاردا بكلماته الأخيرة، أحقا قالها والده يتزوجها، يتزوج ممن؟ من فتاة اغتصبها عنوة ولم يشفق على حالها، بل ألقى بها تواجه مصير لايعلمه غير اللّه، فربما توفاها اللّه بعد كل ما حدث لها، هو حتى لايتذكر ملامح وجهها فكيف له بالبحث عنها، ظل يتساءل بداخله كيف يتعرف عليها أو يصل لأي معلومات عنها ولم يعيده إلى واقعه غير عودة أبيه حاملا بيده حقيبة مما تستخدم للرحلات والسفريات جمع بها أغراضه وملابسه من خزانته الخاصة وأمسك به من تلابيبه يجره جرا ووالدته تتمسك به باكية تتوسل زوجها:

ـ باللّه عليك يامحمود بلاش تخرجه بره البيت، ابنك لو خرج من هنا هيضيع أكتر، ابنى هيروح منى، حلها ياشيخ محمود، ده أنت الناس بتلجألك فى مشاكلها، جوزهاله ويعيشوا معانا ربيه بمعرفتك، ماتسيبوش لولاد الحرام يربوه، هيكملوا على الباقي منه، الشارع مش بيرحم.

لم يقاوم مراد والده وكأن جميع قواه قد خارت وظل مسايرا له حتى طرده شر طردة وهو يخبره:

ـ بيتي ده ماتقربش منه غير وإنت عارف بنت الناس إللي أذيتها ومتفق مع أهلها علشان أروح أكتب لك عليها، وأعمل حسابك مش هتدخله مره تانية غير وهي مراتك، غير كده لا أنت ابني ولا أعرفك وبيتي إتحرم عليك.

حالة من الذهول سيطرت على مراد ووالدته بالداخل أيضا فكلمات زوجها جعلتها تترنح حتى ارتكزت على أقرب مقعد مقابل لها ملقية بثقل جسدها عليه، تعلم جيدًا أن زوجها لن

يحتمل فراق إبنه وإنما وضع شرطه هذا حتى يحمله نتيجة أفعاله.

صفـق محمـود باب المنزل ومـازال ولده يقـف أمامه ولم يجد مـراد حلا وهو بهـذا الحال، جلس على الدرج الرخامي مسـتندا بجسـده على جدران منزله، وما لبث إلا برهة قبل أن يدفن وجهه بين كفيه وقد أجهش بالبكاء، رفع رأسه ناظرا الى أعلى قائلا برجاء:

ـ يارب.... يارب.

يعرف أنه لن يجد مأوى له غير أحضان والداه، وما أن شـعر بوقع أقدام أحد الجيران صاعدا حتى اسـتقام واقفا وهو يمسـح وجهه في ملابسه و حمل حقيبته مسرع الخطى مطأطأ الرأس،

حتـى وقتمـا تلاقى بجاره لم يجيب تحيته وأسـرع يهبط الدرج خارجـا من بوابة العقـار متجها إلى سـيارته، قادها متحركا بها من أمام العقار ومن الحي بأكمله إلى مكان آخر، صف السيارة وأحكـم إغلاقهـا ممـددا جسـده بكامـل المقعد تعمـق بالنوم وكأنه يهرب به من تلك الأفكار والهموم التي ألصق نفسه، بها لـم تدم راحـة باله كثيرا ولن يهنئ بعد اليـوم فقد رآها بأحلامه رآها تأخذ بحقها منه رأى دمائه تسيل كما أسأل دماء عذريتها.

نضح جبينه بالعرق... كانت أنفاسه تتسارع... يكاد يختنق... رفـع يديه يتمسـك بعنقـه وكأنه يحميه من بطشـها به... انتفض جسده وصاح بأعلى صوته:

ـ ماتدبحنيييييش.

اسـتيقظ من كابوسـه، وهو يتلفـت حوله، لن ينعـم بعد الآن

بحضـن والدته الدافئ ولا صوت والده وهو يتلو عليه آيات القرآن الكريـم حينمـا كان يتعرض لمثل هذا الموقف ظل يدلك عنقه وجسده لعله يهدئ من روعه.

ارتفعـت صـوات الأذان، ظـل يبحـث بنظـره مـن خلـف زجاج سـيارته عن أقرب مسـجد حتى وقعـت عيناه عليه، ترك سـيارته وتوجه ليؤدي فريضة صلاة الفجر.

❖ ❖ ❖

وصـل رجـال النيابـة العامـة ووكيـل النائـب العـام للتحقيق بالحادث المبلغ عنه من قبل المشـفى إلى القسم التابعة له والذي تم عمل المحضر من خلاله.

تقابلـت نظـرات والـد سـما وأخيها بذعـر مع نظـرات إيهاب المطمئنـة لهـم ثم تقدم من وكيل النائب العـام الذي تعرف عليه من الوهلة الأولى مصافحا إياه بكثير من الود والاحترام:

ـ سـيادة المستشـار شـرف إني أقابل سـيادتك، هي المجني عليها تخص حضرتك ؟!.

رد إيهاب بهدوء:

ـالشرف ليا ياهشام بيه، هى معرفة زوجتي.

هز هشام رأسه أسفا:

ـطيب بعد اذنك يا باشا محتاجين نآخد أقوالها.

فبادر إيهاب ليتلافى الطلب:

ـ هـي لسـه غايبـة عـن الوعـي، ومعتقـدش تقـدر تتكلـم

خالص، ده غير أنها لو تذكرت أي شيء هيأثر سلبيًا على حالتها.

تفهم هشام الموقف:

ـ خلاص أنا همشي حاليا وهنتظر تليفون من حضرتك تبلغني إنها مستعدة للسؤال.

إيهاب ممتننا له:

ـ ألف شكر هشام بيه، حقيقي ده كرم منك، لكن أنا طمعان في روح القانون مش في نصه، لو أهل البنت قرروا يقفلوا الموضوع يبقي هنعتبر الموضوع ما حصلش، معلش اعتبره رجاء من أب مش من المستشار، حضرتك فاهم نظرة الناس في الحالات دي لما بتتعرف.

هشام وهو يصافحه:

ـ حضرتك قامة يحتذى بها ومكانتك عندنا كبيرة ياباشا، و رأي حضرتك يمشي علينا كلنا وأنا في خدمتك دايما، و لو احتجت مني أي معلومات خارج النطاق الرسمي أنا موجود.

رحل رجال النيابة من المشفى ولم يبقى لهم أثر، وتيقن كلا من إبراهيم ومحمد بصدق وعود إيهاب لهم.

استأذن إيهاب وزوجته بالانصراف ووعدتهم رغد بالعودة مرة أخرى غدا، ذهبت حيث جلست والدة سما ربتت على كتفها مقبلة رأسها:

ـ أنا همشى يا حاجة مش عاوزة مني حاجة؟، والله لولا إني سايبة الولاد لوحدهم كنت قعدت معاكي، بالله عليكي لو فاقت دلوقتي بلاش تزعليها كفاية إللي إتعرضت له.

هزت والدة سما رأسها دليل على تفهمها ولم تستطيع أن ترد على كلمات رغد فقد اعتراها التعب، ولكنها صامدة حتى تستفيق إبنتها وتطمئن عليها ، نظرت لرغد نظرات ممتنة شاكرة لها معروفها.

توجه محمد مصافحا إيهاب:

ـ سيادة المستشار أنا مهما قولت مش هقدر أوفي حضرتك والمدام حقكم، انتوا حقيقي ناس محترمة من أصل طيب وعمرى أنا وعيلتي ماهننسى وقفتكم معانا ومعروف مدام رغد في إنقاذ حياة أختي طوق في رقبتي طول ما أنا عايش.

سمعت رغد كلماته لزوجها وقبل أن يجيب إيهاب وينكر أي معروف سبقته هي وردت على كلمات محمد :

ـ وأنا يا محمد طالبة منك ترد المعروف.

نظرات تساؤل ودهشة من حديثها سيطرت على زوجها ومحمد ، فإيهاب يعلم عن شخصية زوجته ما لا يعلمه أحد ، ولو توقع محمد أنها ستطالبه برد الجميل لم يتوقعها إيهاب نهائيا ولكنها أكملت حتى تجيب نظراتهم:

ـرد ليا جميلي إنك تحافظ على سما وتجيب حقها بالعقل وسيبك من إنك تقتله والتار والدم والكلام ده، أختك دلوقتي أهم من أى حاجة تانية ، لازم تقف جنبها وتبعد عنها كلام والدك ووالدتك، ونظرات الخزي والخوف من الناس واللي فى عيونهم، وأنا معاك ونساعدها تقف على رجلها مرة تانية.

لم يجد محمد ما يجيب به كلمات تلك السيدة العظيمة ، أتريده أن يرد معروفها بأخته هو ، لم تطلب منه طلبا شخصيا ،

أيوجد من مثلها بزماننا هذا:

ـ أنا مش عارف أرد على حضرتك بإيه!!، حضرتك بتبهريني بكرم أخلاقك وأخلاق سيادة المستشار أنا ماتخيلتش إن ممكن أقابل حد فى أخلاقكم وإحترامكم.

رغد وهى تصافحه:

ـ الخير بأمتى إلى يوم الدين، ده كلام رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام.

أومأ محمد برأسه قائلا:

ـ عليه الصلاة والسلام.

وأكملت رغد قائلة:

ـ أكيد فيه غيرنا كتير يا محمد.

غادر إيهاب وزوجته المشفى بوعد من رغد بالعودة مرة أخرى.

و في طريق إيهاب لبوابة الخروج قام بالمرور على قسم الحسابات واضعا مبلغا من النقود يغطي تكلفة إقامة و علاج سما، فمستشفى خاص كهذا لن تستطيع هذه الأسرة تحمل تكاليفه، ويكفيهم ما هم فيه من مصاب جلل.

❖ ❖ ❖

انتهت صلاة الفجر ولم ينهى مراد صلاته سجد لربه يدعوه أن يلهمه الصواب ويناجيه:

ـ يارب أنا عارف إنى غلطان، سامحني يارب.... سهلي طريقي.... وصلني ليها.... أنا هستحمل كل حاجة وأي حاجة...

بس أصلـح غلطتي معاها ، يارب إغفرلـي ذنوبي....حنن قلب أبويا وأمى عليا.

ظل ساجدا يبكي وتنهمر دموعه يناجي ربه ويتوسل له.

عاد لسـيارته بعد أن طلب منه المسـؤول عن المسجد الانتهاء لكي يستطيع غلق المسجد حتى تحين صلاة الظهر.

لـم يغـب عنه أنه لم يـذق الطعام ولكنه لم يشـعر بالجوع ، وكل مايشـعر بـه حاجتـه للنـوم، أخـذ وضعيـة النـوم بنفـس المقعـد بالسـيارة ، وما أن غفلـت عينـاه إلا وهاجمتـه كوابيسـه وكأنـه حُـرم عليـه من لحظـة انتهاكـه لها الراحـة والهدوء ، عـاش كثيرا مـن الوقـت بداخـل هذا الكابـوس لم ينجـده منه غير صـوت رنين الهاتـف المحمول، ظـل يبحث وهو مازال بين اليقظـة والنوم إلى أن وجـد هاتفه بجيب بنطاله ، ولكـن لم يجد به أي مكالمات، جلس يتسائل من أين هذا الصوت ، ربما يكون من هاتف أحد المارة بجوار السـيارة ، ولكن ماهـي إلا لحظـات وعـاد ذلك الرنيـن يصدح مرة أخـرى، فتح باب السـيارة وذهـب للباب المـؤدي لمقاعد الركاب ، وظـل يجـول بنظـره بيـن المقاعـد وخلفها حتـى وجد تلـك الحقيبة الصغيرة ، فتحها ليجد ذلك الهاتف الصغير والذي تعالى رنينه أكثر حينما أخرجه منها ، وجد إسم المتصل نيرة، فتذكر سريعا أن آخر من كان بالسـيارة هي تلك الفتاة ، وربما يكون هذا هاتفها ، ضغط زر الاجابة ولم يتحدث لتندفع صيحات تلك النيرة بأذنه:

ـ انتي يا ست سما هانم لسة نايمة والمدرس على وصول ، كل ده مانزلتيش من البيت، انتي مش بتردي ليه؟...ها سما.. سما.

أغلق مراد المحادثة وتأكد أن الهاتف لها ، رفع وجهه للسماء حامدا اللّه أنه أوصله لهذا الخيط وسيصل لها عن طريقه باذن اللّه تعالى.

بحث بالهاتف لم يجد كثيرا من الأسماء المسجلة عليه.....

غير بأسماء بابا... إذن فهذا رقم هاتف والدها ، هبة...أعتقد أنها صديقتها ، ثم إسم تلك المزعجة نيرة... وبالتأكيد بعد ما سمعه من حديثها فهى صديقتها... وآخر الأسماء وجده مسجل باسم جذب إنتباهه بشدة (نور عيوني)...فظن أن هذا الإسم والرقم ربما لشاب تعرفه أو على علاقة به...

لم يتوقع أن نور عيونها هو أخيها حاميها وسندها.

قرر مهاتفة والدها ولكن بعد أن يرتب أفكاره وكلماته التي سيلقيها على مسامعه حتى يستطيع إقناعه.

❖ ❖ ❖

صرخة مدوية أعلنت عن عودة الوعي لتلك الراقدة بسريرها جعلت الجميع يتحرك باتجاهها ، أول من وصل لها أخيها يليه والده ووالدته ، التي حاولت جاهدة أن تقف على قدميها

وأسرع إليها الطبيب المعالج ومساعدته التي حاولت إخلاء الغرفة من عائلة سما :

ـ يا جماعة لو سمحتوا مش هينفع كده ، أخرجوا بره ، دي في العناية وممنوع الدخول سيبوا الدكتور يشوف شغله.

وقبل أن يتحرك أيا منهم حتى يتفقدها الطبيب منعهم صوت سما متمسكة بيد أخيها التي احتوتها فور سماع صراخها :

ـ ماتسبنيش يامحمد أنا خايفة أوي...أوعى تسيبني تاني... هيخطفني تاني يا محمد.

كانت تتأوه مع كل كلمة تشعر وكأنها تعيش نفس اللحظات مرة أخرى... تتذكر ما حدث لها... شوفت عمل فيا إيه... أنا حياتي إنتهت.

إنهمرت دموعها وإرتفعت شهقاتها ظلت يد أخيها تحاوطها ليطمئنها ، ولكنه لم يستطع كبح دموعه من مشاهدة صغيرته بهذا الشكل وكل هذا الانهيار ، وقف والدهم يتابع المشهد أمامه بألم

وقهر ، إحساس بالضعف والخوف إجتمعت داخله مشاعر عدة ، إزداد غله وحقده على فاعل الجُرم المشهود بإبنته ، لا يعرفه حتى يأخذ بحقها ، وهل إذا تعرف عليه ووقع تحت قبضته سيفعلها ، سيأخذ حقها منه ، أم سيخاف ملامة الناس ومعرفتهم بما حدث لإبنته.

ظلت والدة سما تنظر لإبنتها وبكائها ، شهقاتها ، خوفها وهي بحضرة عائلتها ، تشعر وكأنها داخل كابوس مؤلم لم يوافق عقلها على رؤية فلذة كبدها على هذا الوضع المؤلم ، تحاملت على نفسها من بداية اليوم ولكن كفى لم يستطع قلبها المريض أن يحتمل أكثر من ذلك ، فخارت قواها ، حاولت التمسك بأي من الجدران خلفها لكن لم تسعفها قدماها ، وتراخى جسدها حتى سقطت بدون حراك.

❖ ❖ ❖

الفصل الرابع

هـرول إليها الجميع، زوجها الذي لـم يلحظها وهى ترفع يدها تضغـط بهـا علـى قلبهـا المتألم، وإبنها الذي حجـب عنه بكائه رؤية والدته وهى تتراخى ويظهر الألم جليا على وجهها، والطبيب الـذي مـا أن فحصها حتى نكس رأسـه متألما علـى هذه العائلة المكلومة وعلى ما تواجهه وستواجهه من أوجاع مرددا:

ـ البقاء لله.

تعالت الصرخـات وإزداد النحيب بالغرفة ذاتها، ولم يكن من سما فقط بل من الجميع.

ظل محمد يحرك جسدها وهو يصيح بها بشهقات متقطعة:

ـ أمـي ماتسـيبيناش يـا أمي....مـش هقدرأكمـل مـن غيـر دعواتك ردي عليا...لاااااا أمي.

تحاملت سـما على آلامها، محاولة الوقوف ولم تسـتطع، خرت علـى ركبتيها، حبـت كالطفـل على أربـع حتى وصلت لجسـد والدتها، فإرتمـت محتضنة جسـد والدتها صارخـة بأعلى صوتها وشهقاتها تتزايد:

ـأمـــى.

ازدادت الشـدائد علـى تلك العائلة، ومازال رب الأسـرة يحاول استجماع قوته حتى يتدبر أمر عائلته.

اسـتجمع والدهم قوتة حم حم ليسـترد نبرة صوته ويسـتطيع

إخراج كلماته ممسكا بمنكبي ولده من خلفه رافعا له يحثه على الاستقواء مرددا له:

ـ أقف يامحمد....أقف أنت سندنا ياابنى، شد حيلك ومد إيدك مع إيدي نكرم أمك نكرم الست اللي عاشت عمرها كلة زوجة مطيعه... راضيه بكل اللي بعمله فيها..... متحمله علشانكم وعلشانى، آن الآوان نكرمها ونردلها جميلها، لازم تقوينى علشان أكمل مهمتى مع إخواتك البنات.

نظرله محمد نظرات حملت كثيرًا من العتاب، فكثيرا ماكان حاد الطباع مع تلك الأم الحنونة وكثيرا ما أثقل على عاتقها وألزمها بما لا يتحمله بشر، ولكنه لايستطيع غير أن يطيعه، فهو بالنهاية والده وكثيرا ما أوصتهم والدتهم ألايغضبوه، وأن يراعوا أنه من يتحمل المتاعب وشقاء العمل من أجل توفير حياة كريمة لهم.

أخرج منشفه ورقية مجففا بها دموعه، زافرا تنهيده لعلها تخرج معها أوجاعه محاولا إستعادة قوته، حمل جسد سما الملقى فوق جثة والدتها ليعيدها إلى مرقدها، إستجاب له جسدها وهو يزداد بالإرتجاف وتتعالى شهقاتها، كانت بين الوعي واللاوعي، وضعها برفق وكأنها زجاج يخشى كسره، ثم وجه حديثه للطبيب المتواجد معهم بالغرفة متسائلا:

ـ هي تقدر تخرج معانا النهارده يادكتور؟.

رد الطبيب بثقة:

ـ لا طبعًا، أولا لسه فى نزيف لازم نتأكد أنه وقف وإلا

هنضطـر ننقلهـا دم تانـى، ده طبعا غيـر زي ماحضرتك شـايف حالتهـا العصبيه والنفسـيه محتاجـه عنايه طبيـة، وما أعتقدش أنكـم فى ظـروف تقدروا تهتموا بيها، أنـا هاحقنها بمهدئ لحد ما تقدر تتجاوز المحنه دي وتتقبل وفاة الوالدة.

تفهم محمد حديث الطبيـب وأماء له بالموافقة، غلل أصابعه بشـعره الكثيف محـاولا ترتيب أفكاره بنفـس الوقت الذى قام الطبيـب بإعطـاء سـما المهدئ، وأوصـل تلـك الأنابيـب الطبيـه بأوردتهـا مـن جديـد حتـى يسـتطيع تغذيـة جسـدها بزجاجات الجلوكوز، أخرج محمد هاتفه عابثا بشاشـته حتى توصل لاسم أخته هبه، ضاغطا زر الإتصال وبعد قليل أجابته وقد نفذ صبرها فمـن وقـت أن وصـل إلى المشـفى لـم يخبرها بشـئ عـن أختها سما، فصاحت به معاتبه:

ـ كـده يامحمد، كـده أقولـك طمنى تسـيبنى كل ده على أعصابى وأتصل عليك ماتردش عليا.

قطع حديثها وهو يحاول إظهار صوته طبيعيا:

ـ حقـك عليـا ياهبه إنشـغلت من وقـت ماوصلت، أسـمعينى كويـس عـاوزك تجيبـى لبـس لسـما، وتيجى على المستشـفى بسـرعه، وعاوزك كمـان تفضلي تكلمينى بمجـرد ماتخرجى من باب الشقه، سامعه ياهبه تنفذى كلامى بالحرف الواحد.

جـاءت كلماته حاسـمه لم تسـتطع هبه مجادلتـه ولكن بدأ شعور القلق يتسلل لقلبها فأجابته متسائله:

ـ هى سما حصلها إيه يا أخويا ؟.

لـم يشـأ محمـد إخبارهـا هاتفيـا وآثـر الانتظار إلـى أن تصل المشـفى ووقتها يخبرها بكل شئ كي يتسنى له تركها بجوار أختهمـا الراقـده لا حـول لهـا ولا قـوة والقيـام بإجـراءات الدفن لوالدته.

فأجابها مقتضبا:

ـ سـما كويسـه يا حبيبتي وكلها مسـافة الطريق وتطمني عليها بنفسك، يالا ماتتأخريش عليا.

وأغلق الاتصال

تنهـدت هبـة و قـد داخلهـا الهدوء قليـلا لكن مـا زال هناك بداخلها تساؤل و قلق عن سبب تواجد أختها بالمشفى.

نظر محمد لجسـد والدته فهو مـازال بالأرضية الرخاميه، ثم جال ببصره ليجد والده لا يسـتطيع الحركة يجاور زوجته ناظرا لها، أقبـل علـى جسـد والدتـه حتى يحملـه ويضعه على السـرير المقابل لسـرير أخته، ولكنه لم يسـتطع بمفرده فوجد الطبيب يمد له يد العون ويحملها معه، وضعاها وقامت مسـاعدة الطبيب المرافقـه لـه بتغطية جسـدها بغطـاء مـن القماش أبيـض اللون المخصص لأسرة المشافى.

شكر محمد الطبيب ومساعدته.

فأجابه الطبيب و الأسف على حالهم يسيطر عليه:

ـ لا شـكر على واجب أنـا هاكتب لحضرتـك تقرير بحالة الوالدة، علشـان يسـهل عليـك إجـراءات تصريح الدفن وشـهادة الوفاة.

رد محمد بامتنان:

ـ كتر خيرك يادكتور، تعبناك معانا.

أستأذن الطبيب بالإنصراف ومعه مساعدته، تاركا محمد شارداً مفكرًا في من يستطيع ائتمانه على أختاه، ولم يجد غيرها ولكنه تردد للحظات، ثم عقد العزم وأخرج من جيب سترته تلك البطاقة الصغيرة المدون بها أرقام المستشار إيهاب رضوان، وضغط على الأرقام من هاتفه الجوال ولم ينتظر الكثير حتى أجابه إيهاب بصوت ناعس:

ـ السلام عليكم.

خجل محمد من نفسه ولكنه لم يستطع التراجع الآن:

ـ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، سيادة المستشار أنا محمد أخو سما.

اعتدل إيهاب من رقدته وكانت رغد الراقدة بجواره قد إستيقظت على صوت رنين الهاتف وانتبهت حين سمعته يقول:

ـ خير يامحمد سما حصلها حاجه لا قدر الله.

نفى محمد:

ـ سما بخير لسه على حالتها زي ماسيبتوها.

فتسائل إيهاب:

ـ طيب طمني محتاج حاجه.

رد محمد و هو يحاول استجماع قوته:

ـ لا هو في الحقيقه والدتي..... هي إللي توفاها الله.

وقع الخبر على ايهاب كالصاعقة حزنا على تلك المكلومة التي لم تتحمل و كسى الحزن صوته قائلاً:

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله، البقاء لله، طيب وأنتوا فين دلوقتي.

شهقت رغد بجانبه وهى تردد:

ـ سما....سما دي يا إيهاب، البنت جرالها إيه؟!.

ولم يوقف لهفتها وكأن المصاب لأقرب الأقربين لها غير إشارة زوجها بالنفي.

أجابه محمد:

ـ كلنا في المستشفى، أنا كنت محتاج مساعدة مدام رغد، حضرتك عارف....

لم يكمل محمد كلماته لقطع إيهاب حديثه بما لايتوقعه نهائيا:

ـ استني يا محمد إحنا هنجيلكم حالا، متتحركش من مكانك أنا هكون معاك في كل شيء، ورغد هخليها مع سما.

لم يعلم محمد كيف يجيب ولكنه أصبح يتوقع من هذا الرجل وزوجته ما لا يفعله الأهل والأقارب وقبل أن يتحدث شاكرا له فضله، سبقه إيهاب قائلا:

ـيلا يامحمد أنا جايلكم مع السلامة.

نظرت رغد لزوجها مستفسرة عن المتوفي فأجابها إيهاب وهو يهب واقفا يخرج ملابسه:

ـ والدة سما اتوفت يا رغد، وهم محتاجينك، انتي أكيد

عارفه الموقف اللي هم فيه، ومعتقدش يقدروا يبلغو حد من أهلها يقعد معاها.

لم تنتظر رغد أن يكمل حديثه بل كانت تستمع له وهي أيضا تستعد للذهاب معه خرجا من منزلهما بعد أن تفقدت أبنائها وأخبرتهم بمكان تواجدها هي وزوجها.

❖ ❖ ❖

في المشفى...

جلس محمد بالمقعد المجاور لأبيه الجالس أمام سرير زوجته المتوفيه يتلو عليها أيات القرآن الكريم لعلها تهدأ من روعه، انتظره محمد حتى أنهى السورة القرانية ونطق:

ـ «صدق الله العظيم»

حتى وجه له سؤاله الذي يحمل الكثير والكثير من ذكريات وآلام عاشتها والدته قائلا:

ـ هتدفن أمي فين يا بابا ؟، مقابر عيلتها في بلدهم كفر الشيخ، وعشان ندفنها هناك هنآخد وقت كبير جدا، ولازم نبلغ أهلها من دلوقتي علشان فتح المقبرة وممكن يقعدونا أيام العزاء ومعتقدش ينفع نسيب سما في الظروف دي.

فأجابه والده بمزيد من الأسى:

ـ هندفنها هنا يابني في مقابر عائلتي أنا.

رد محمد ليذكره:

ـ ووصية جدتي إن الفلاحة ماتندفنش معاها، أمي يا بابا اللي

كانـت بتخدمها لآخر يوم في حياتها ، و برضه فضلت معتبراها فلاحه و أقل منها.

رد والده:

ـ أمـي اللّه يرحمها ويسـامحها بقي يامحمـد ، وأمك كمان اللّه يرحمهـا ياما اسـتحملت ودلوقتي وقت إنـي أردلها وقفتها مع أمـي ومعايـا ، وإكرام الميـت دفنه وأنا هدفنها مـع أمي حتى لو خالفت وصيتها.

لـم يكملا حديثهما حيث قاطعهمـا صوتا هاتفيهما برنينهما معـا بنفـس التوقيت، فهاتف محمد أضاء باسـم هبـة ، أما والده فقـد أعلـن هاتفه عن اتصـال من رقم لم يكن مسـجل لديه رقم لا يعرفـه من قبل، أجـاب وقد غلف صوته الحـزن وامتلأت نبرته بالارهاق والتعب قائلا:

ـأيوه السلام عليكم.

أجابه الطرف الآخر وهو يحاول ترتيب كلماته:

ـوعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاته.

رد إبراهيم:

ـ مين معايا ؟!!

جاءه الرد:

ـ من فضلك يا حاج أنا محتاج أقابلك علشـان موضوع يخص بنتك.

رد و هو يحس برأسه يدور:

ـ بنتي مين؟ وعاوز إيه منها؟ وإنت مين أصلا يا بني؟.

تتأتأ بكلماته وهو لا يعرف كيف يجيبه ؟ أيعقل أن يقول له ابنتك المغتصبه أم ماذا يقول؟ فهو لا يعرف اسم ضحيته ، ثم تذكر تلك المتصله التي حادثتها من قليل حينما قالت اسمها فأجاب:

ـ بنتك سما ياعم الحاج، أنا اسمي مراد محمود ، ممكن أقابلك دلوقتي في أي مكان.

انتبه إبراهيم لحديثه وصاح به:

ـ وإنت عاوز إيه من بنتي؟ تعرفها منين؟ رد عليا إنت مين ؟

رد مراد وقد ملأ قلبه الرعب:

ـ اسمعني بس ياحاج وخليني أقابلك وأنا أجاوب على كل أسئلتك.

رد إبراهيم بنفاد صبر:

ـ أنا مش هينفع أقابلك دلوقتي، أنا ممم...

وقبل أن يكمل كلماته كان محمد قد عاد للغرفة بعد أن خرج منها ليحادث أخته ويظل متواصلا معها عبر الهاتف حتى تصل إليه ، و لكن وصل لمسمعه صياح والده فعاد له متسائلا:

ـ فيه إيه يا بابا ؟صوتك عالي ليه سما جرالها حاجة تاني.

أجابه والده وهو يمد له هاتفه بيده:

ـ مش عارف مين ده ؟وبيقولي قابلني علشان حاجة تخص سما يابني.

تناول محمد الهاتف منه محدثا الطرف الآخر:

ـ أيوه إنت مين؟ و تعرف سما منين؟.

رد مراد:

ـ أنا مراد وعاوز أقابل والد سما، أرجوك خليه يقابلني لموضوع ضروري.

محمد بانفعال:

ـ إنت غبي !!، هو أنا بسألك على اسمك، أنا بسألك إنت تعرف سما منين؟ وإيه الموضوع الضروري اللي بتتكلم عنه.

كاد مراد أن يفقد أعصابه ويسبه ردا على نعته بالغباء، وهو حتى لا يعرف صلة قرابته بضحيته أو والدها، ولكنه اضطر أن يضبط انفعالاته ورد عليه بهدوء:

ـ هو حضرتك مين ؟أنا كنت باكلم والدها، ممكن تخليني أكلمه تاني.

محمد وقد نفد صبره:

ـ اسمع ياجدع إنت، أنا أخوها وأبويا مش هيقدر يقابلك حاليا لو عايز حاجة كلمني أنا.

سُر مراد وقد ظن أنه عثر أخيرا على مراده وخيل له عقله للحظات أن أخاها شاب مثله وسيستطيع التفاهم معه فأجابه:

ـ طيب أنا عاوز أقابلك في أسرع وقت بالله عليك.

شعر محمد بتوتره وازدادت رغبته بمعرفة من هذا الشخص وما هو مطلبه ولكن يصعب عليه أي شيء حاليًا فحادثه قائلا:

ـ أنا صعب جدا أتقابل معاك دلوقتي إحنا عندنا حالة وفاة

قطع مراد حديثه متلهفا :

ـ سما هي اللي اتوفت؟.

أدرك محمد أنه يعرف بحادثة أخته ، ولكن من هذا؟ وما دوره بالحادثة ؟ولم يمر على خاطره للحظة أنه فاعلها ، ولكنه أيضا لم يستطع كبح غضبه من خوف هذا المراد على أخته ولهفته لمعرفة من المتوفي فأجابه :

ـ إنت إيه يابني آدم إنت ، وإنت مالك إن كانت سما وإلا لا ، وإيه علاقتك بأختي ؟وتعرف منين إنها تعبانه ؟ انطق فهمني.

انتظر إجابة مراد على أحر من الجمر ، فلم يستطع الآخر إجابته متلعثما :

ـ أنا.... أناااا....

ولم يكمل ما أراد قوله حيث قطع حديثه محمد :

ـ رد عليا إنت إيه؟ تعرفها منين؟ أكيد إنت السبب في اللي هي فيه.

حاول مراد استرسال حديثه ولكن محمد لم يعطيه أي فرصه فاضطر لإنهاء المحادثة ، ظل محمد يلعن ويسب ولم ينتبه لإغلاق الخط ، ولا لأخته هبة التي استمعت لحديثه أثناء تواصلها معه على هاتفه كما طلب منها وتلك الصيحات الخارجة من هبة تناديه متسائلة :

ـ محمد... يامحمد... مين اللي مات يا أخويا طمني يا محمد ، رد عليا سما حصلها إيه يامحمد.

ظلت تصيح ولم يخطر ببالها أن تكون والدتها هي من فارقت دنياهـم أما أخيها فظل يحادث والده الـذي لم ينتبه لحديثه وظل شاردا متجمد الملامح:

ـ مين ده يا بابا؟ مين ده ؟أنا حاسـس إن هو ده السـبب والله لندمه على اليوم اللي اتولد فيه.

فتـح إيهـاب باب الغرفة بعـد أن طرقه عدة طرقـات ولم يجد إجابـة وكأن الله ارسـلهم بالوقـت المناسـب اقتـرب إيهاب من محمد مصافحا له:

ـ البقاء لله يابني شد حيلك.

ثم ذهب لمصافحة إبراهيم الذي لم يكترث لكل ما يحدث حولـه وكأنه بعالـم آخر غير عالمهم حتى عندمـا قدم له إيهاب ورغد واجب العزاء اكتفي بايماءة من رأسه.

نظـر إيهاب مسـتفهما عن حالة الغضب وسـبب صياح محمد ولعنه وسبه الآن قائلا:

ـ أنا سامع صوتك من بره يامحمد إيه بس يابني اللي مخليك تقول كده ؟،

دلوقتـي نخلص إجراءات دفن جثمان والدتك وبعدها نشـوف هنعمل إيه.

أجابه محمد:

ـ اللي مخليني أقول كده إن فيه شـخص اتصل بينا بيسـأل عليهـا وعايـز يقابلنا ، أنا حاسـس إن هو ده اللـي عمل فيها كده واعتدى عليها ، لهفته وخوفه إن تكون هي اللي ماتت مش طبيعية.

صـدم كـلا مـن إيهاب ورغـد من جرأة هذا الشـخص ولـكن لـم يصدمـوا من وقـع الكلمـة وحدهم بل وقـع أثرهـا على تلك الواقفـه بباب الغرفة بعد أن وصلت بمفردها واسـتعانت بموظف الاستقبال لتعرف مكان الغرفة القابعة بها أختها ، وما أن وصلت حتى استمعت لتلك الكلمات ويااليت صدمتها اقتصرت على تلك الكلمـات فقط ولكن عينيها وقعت على ذلك الجسـد المغطى بأكملـه بذاك الغطـاء الأبيض ، ظـل عقلها يحادثهـا وهـي تنظر بوجوه مـن بالغرفة ، فرأت أخيها وإيهاب ورغد ، فمن هؤلاء الناس ؟فهـي لا تعرفهم ، ومـا هذا؟ ما الذي حـدث لوالدي؟ كيف له أن يجلـس هـادئ هكذا ، الحمد للّه أختي سـما حية تـرزق ولكن واضح عليها الإعياء الشديد ، وهنا تنبه عقلها لعدم وجود والدتها.

ـ أمي..... أين أمي ؟.....

الفصل الخامس

دخلت هبة للغرفة وقد تجمعت كل تعابير الذهول والدهشة على ملامح وجهها ، انتفض جسدها واحتلته القشعريرة ، تحركت بلا روح كالدمية ذات الخيوط ، سقطت الحقيبة من يدها واقتربت من السرير الموضوع عليه جسد والدتها ، امتدت أناملها بارتعاشة شديدة قد احتلت جميع أطرافها ، تسحب ذلك الغطاء من القماش حتى كشفت عن وجه والدتها ، وانفجر البركان القابع داخلها ، فمن وقت أن استمعت لكلمات أخيها على الهاتف الآخر وانقبض قلبها ، وآن الاوان أن يعلو الصياح بداخلها ويخرج ويطيح بالأخضر واليابس ظلت متمسكة بجسد والدتها محاولة رفعه وهي تصيح بأعلي صوتها :

ـ ماما قومي معايا ، قومي ياماما لاااااااااا ، إوعي تموتي وتسيبيني ، قومي يا أمي ، سما محتجالك ، أنا مش هقدر على فراقك ياماما لا ياماما لاااا ، قومي بس قومي ، بطلي تخضيني عليكي ، تعالي يامحمد ، تعالي نزل رجلها معايا ، وحياتي عندك يا ماما قومي بلاش تسيبيني.

رفعت وجهها للسماء داعية الله :

ـ يارب يارب سيبلي أمي ، الحمل تقيل أنا مش هقدر عليه ، أنا مش هقدر عليييييييه ، قومي يا أمي ، مين هيلبسني فستان فرحي ، لا يا أمي قومي ، يارب خدني أنا وبلاش هي.

كانت تتحدث وجسدها بأكمله يرتجف، تشهق وتبكي، تكفف دموعها بظهر كفوفها كالطفل الباحث عن أمه بوسط الزحام.

أبكي هذا المشهد جميع من بالغرفة صيحات هبة كانت جرس إنذار لوالدهم حتى يفيق من شروده ويعلم كيف يحتاجه أبنائه، يعلم أن الأب لم يكن واجبه يوما أن يأتي بالمال فقط وإنما

يجب عليه إحتواء أبنائه، فقد ذهبت من كانت تحمل عنه الحمل للقاء ربها وعليه أن يتحمل ويقوم بدور الأب والأم معا، نهض ذاهبا لابنته محتضنا لها محاولا تهدئتها ولكنها لم تستجيب، ذهبت إليهم رغد وجذبت يداها محيطة جسدها النحيف المرتجف بذراعيها محتضنة إياها تتلو عليها آيات من القرآن الكريم، دقائق ليست بالكثيرة حتى استجاب جسدها وقلت ارتجافته، في حين تقدم إيهاب متحدثا لوالد سما:

ـ أستاذ إبراهيم أنا ومحمد هنروح نخلص تصريح الدفن، وهابلغ هنا في المستشفى علشان يقوموا بالغسل والتكفين.

ولكن كلمات محمد استبقت رد والده قائلا:

ـبعد إذنك يا إيهاب بيه لازم الحاج يجي معانا علشان إجراءات فتح المقبرة، لأن والدتي هتدفن في مقابر عائلة والدي وهو هيتصرف في الموضوع ده أفضل مني، تفهم إيهاب حديث محمد.

أبلـغ إيهـاب المختصيـن بالمشـفى بانجـاز بقية المهـام حتى يتسنى لهم دفن الجثمان اليوم.

تمت الاجراءات بسرعة فائقه فوجود المستشار إيهاب رضوان كان كفيـلا لإتمـام كل شـئ بمنتهى السـهولة ، واصطحبهما للخـارج مسـتقلين سـيارته الخاصة ، بعد أن تسـلم محمـد تقرير مـن المشـفى مدون به أسـباب الوفاة لتقديمهـا لمكتب الصحة لاسـتخراج تصريح الدفن بينما وبقي أمر فتح المقبرة والتي طلب إبراهيـم من العامل المسـؤول عـن مقابر عائلتـه أن يقوم بفتحها وتجهيزها لاسـتقبال الجثمـان ولكنه أبى أن ينفـذ مطلبه بدون وجـود إخوته أو من ينـوب عنه من أبنائهم تنفيـذا لتوصيات أخيه الأكبر الحاج حمزة.

صدم كلا من محمد وإيهاب وأصاب إبراهيم حالة من الهياج العصبـي وصاح بالعامل بأعلى صوته دون مراعاة حرمة المكان قائلا :

ـ إنت بتقول إيه ياجدع إنت؟ إخواتي مين اللي أجبهم عشـان أدفـن مراتـي دي تربـة عيلتي ، وأنا ليا حق فيهـا ، والله لأبلغ عنك ومراتي هدفنها هنا يعني هدفنها هنا.

وقف إيهاب ومحمد حائلا بينه وبين العامل المغلوب على أمره فهو أيضا ليس بيده شئ هو ينفذ ما أمر به ، احتضن محمد والده لتهدئته وتحدث إليه بينما ذرفت عينيه الدموع ألما وحسـرة على ما يحدث قائلا :

ـ اهدا يا بابا شـوية ، اللي احنا فيه أكبر من كلام إعمامي

اتصل بعمي حمزة وبلغه بوفاة أمي وشوف رده إيه وبعدها نحدد اللي المفروض يتعمل.

استجاب والده لمطلبه وبحث عن هاتفه ثم هاتف أخيه و هو يدعوألا يرفض إخوته مطلبه الوحيد بإكرام زوجته، لم ينتظر الكثير حتى أجابه أخوه بمعاتبة مستهزءة:

ـ أهلا أهلا، والله زمان يا إبراهيم لسه فاكر إن ليك أخ اسمه حمزة.

أجابه إبراهيم غير مكترث لكلماته:

ـ مراتي ماتت يا أخويا وعاوز أدفنها والتربي بيقولي إنك لازم توافق.

رد حمزة ببرود:

ـ البقاء لله يا إبراهيم ربنا يصبرك يا أخويا.

تكلم إبراهيم سريعا متوجسا خيفة:

ـ ونعم بالله، المهم قولت إيه ياحمزة تعالي قوله يفتحلي التربة عايز أكرم مراتي زي مأكرمتني عمرها كله.

حمزة وقد ملأ نبرته المكر:

ـ معلش يا إبراهيم مش هينفع، إنت عارف وصيه أمك إن مافيش واحده من حريمنا تندفن معاها ودي أمانه مقدرش أخالفها.

زاغت عيون إبراهيم وسقط هاتفه من يده رغما عنه، لم يتوقع كل هذا الخذلان من أخيه الأكبر، ومن الدنيا وما صدمته به في ساعات قليله، بداية من اغتصاب ابنته الصغرى، إلى وفاة

زوجته ، نهاية بقلة حيلته بإكرامها ودفن جثمانها ، شعور بالحيرة والضعف تملكه ، أهو ضعيف لهذه الدرجةأحقا لم يستطع الوقوف بوجه طغيان إخوته ووصية والدته الظالمة لزوجته بحياتها ومماتها.

شعرمحمد بوالده واستشف من شروده إجابة عمه حمزة عن مطلب والده ولم يستشعر وحده ما حدث إنما تيقن ذلك الرجل الخلوق المساند لهم بمحنتهم رغم عدم وجود صلة دم تربط بينهم إلا أنه كان نعم العون والسند فامتدت يداه لتربت على ظهر إبراهيم موجها حديثه لمحمد :

ـ يلا بينا يا جماعه الحاجه هتندفن بمدافن عيلتي.

وقبل أن يجيبه أحدهما كان يصطحبهما بعد أن خذلهم الأهل والأقارب متوجها إلى أحد المدافن الكبرى التي تشبه الغرف ويوجد بها عدة مقابر.

انتظرو قليلا حتى أتى لهم العامل المسؤول عن المدفن مرحبا بإيهاب:

ـ أهلا أهلا يا باشا تعيش وتفتكر.

أجابه إيهاب بمنتهي الإحترام والأدب:

ـ أهلا بيك يا عم محمود.

وقدم له بيده ورقة لتصريح الدفن

ـ افتحلي تربة سيدات ياعم محمود.

محمود بفزع:

ـ خير ياباشا مين اللي اتوفي.

إيهاب مشيرا لإبراهيم:

ـحرم الحـاج إبراهيم وهو من معارفي، افتح التربة وأي وقت يجـي هـو أو ابنه أو بناتـه افتحلهم بوابـة المدفن يـزورو والدتهم ومتتأخرش عنهم في أي طلب.

حرك محمود رأسه بالموافقة وهم ليأتي بمعداته لفتح المقبرة دون جدال.

كل هـذا يحـدث وابراهيـم وابنه لم يسـتطيعا الرفض فليس لديهمـا بديـل وما فعله معهـم إيهاب موقف إنسـاني لم يجداه من أقـرب الناس اليهم، ولكن رحمة الله وسـعت كل شـئ وأبدلهم من هو خيرا وأفضل لهم.

تـرك كلا من إيهـاب ومحمـد الحـاج إبراهيم أمـام المقبرة وذهبـا لإحضـار الجثمـان وإقامة صـلاة الجنازة عليه بالمسـجد المقابـل لبوابـة المقابر، سـاعات قليله وانتهى كل شـيء وأغلق العامـل المقبـرة وأغلق باب المدفن، ولكـن بقلوب كل فرد من عائلة إبراهيم الخولي جرح لم يغلق بعد.

بقيـت رغد بجوار الفتاتيـن فاليوم أصعب أيـام حياتهما ودعا والدتهمـا وحضنهمـا الدافـئ لـم يكـن خروجهـا محاطـة بتلك القماشـات البيضـاء المدعـاة بالكفـن بهيـن عليهمـا ولكـن استطاعوا السيطرة على سما عن طرق حقنها بالمخدر من خلال أنبـوب المحاليل الطبيه المتصل بجسـدها ، أما الأخت الكبرى والتي تتوالى عليها الصدمات لم تسـتطع رغد ولا جميع السيدات العامـلات بالمشـفى تهدئتها مـن النوبة الهسـتيرية التي اعترتها

فكم صرخت وارتجف جسدها متأثرا بشهقاتها المرتفعه مشددة من احتضانها لوالدتها صائحة بأعلى صوتها حتى تقطعت أحبالها الصوتية:

ـ أمييييييييييي، سيبوها محدش يلمسها، لا يامحمد، سيب ماما.

ظلت تتكزه بجسده

ـ سيب ماما، أمك مش بتحب حد يلمسها خلي الرجالة دي تسيبها.

آهات وصرخات ملأت الجدران أبكت الحاضرين استطاع محمد بالكاد تخليص جثمان والدته من يدي أخته.

مرت عدة على وفاة الأم.....

أصبح البيت خالي من الحياه، الأب يجلس على تلك الأريكة ينظرللفراغ حوله، فكم شاركته زوجته الجلوس عليها وتناولت معه كوب الشاي وهي تهون عليه متاعب الحياه، يرى طيفها أمامه يستشعر أنفاسها حوله، لا يعلم كيف يواجه مصائبه، ابنته وما حدث لها، فقده رفيقة عمره، هذا بالإضافة لصدمته في إخوته الذين لم يكلفوا نفسهم حتى عناء السؤال بعد ما فعلوه.

قطع عليه صمته صوت ولده محمد:

ـ بابا النهارده سما هتخرج من المستشفي وأنا هنزل أجبها هي وهبة لكن أنا عاوز أتكلم معاك قبل متيجي.

استفهم إبراهيم:

ـ خير يابني عايز تقول إيه؟

رد محمد بحيرة:

ـ عايـز أعـرف هنتصـرف ازاي في اللي حصل لسـما هنقدم بلاغ ولا هندور عاللي عمل كده فيها ونآخد بالثأر منه.

جاء رد إبراهيم بقلة حيلته:

ـ هو إحنا نعرف مين يابني اللي عمل كده ؟!!

رد محمد بشك:

ـ أنا شاكك في الراجل اللي اتصل واحنا في المستشفى.

إبراهيم نافضا رأسه وكأنه يبعد عنها تلك الأفكار السيئه:

ـ راجل مين يا محمد هو فيه حد كلمك ؟

محمـد وقد تفهم موقف والده وأنه كان فاقدا لوعيه وقت أن آتاهم ذلك الاتصال:

ـ آه يابابا فيه واحد اتصل يسـأل عليها وكأنه عارف حاجه وده اللي شككني فيه.

اعتـدل إبراهيـم في جلسـته وفطن لـكلام ولده ظانًـا بابنته السوء:

ـ تفتكـر يامحمد أختك تعرفه أو على علاقه بيه وإلا بتحبه زي بنات اليومين دول.

رفض محمد أن تحتل هذه الفكرة عقله هو الآخر فهو يعرف أخلاق سما جيدا ، أيشك بصغيرته؟!!

استيقظ عقله الباطن وبالأحرى ضميره:

ـ لا لا يامحمد مش ممكن سما تعمل كده.

ثم يراوده عقله..

ـ وليه لا هي مش بنت في سن مراهقه، تكون واحده من زميلاتها ضحكت عليها انتفض واقفا من جلسته محدثا أبيه:

ـ أنا نازل أجبهم وآجي ولما أرجع ليا كلام معاها ونعرف الحكاية كلها.

ذهب إلى المشفى عابس الوجه، فسما لم تنطق أو تتحدث عن ما حدث، فهو الآن يزيد من ظلم تلك الملاك المتجسد في أخته البريئه، لم يعر اهتماما لمشاعر أختيه، ولم يراعي حزنهما ، حادثهما بطريقة جافة خالية من الحنان أو الاحتواء المعتاد من أخيهما الحبيب موجها حديثه لهبة متجاهلا بنظراته سما:

ـخلصتي ياهبة وجهزتي اختك وحضرتي الشنطة.

أجابته هبة وقد ملأت الأحزان نبرتها وذبل وجهها المشرق:

ـ خلاص يامحمد هنرجع البيت، وماما مش فيه.

ولم تستطع كبح دموعها التي سالت على وجنتيها والتي جعلت قلب أخيها يلين مرة أخرى ويعود لطبيعته معهما فاقترب محتضنا لها يبثها حنانه، وما أن وقعت عيناه على سما وجدها شاردة بالفراغ أمامها متجمدة الملامح والشعور، فهو توقع بكائها بمجرد ذكر أخته لوالدتهم، ولكنه رأى العكس فهي أصبحت كالمغيبة عن الواقع أمسك بكف أخته الكبرى واقترب من السرير الجالس عليه سما مناديا لها:

ـ سما... ياسما... سما إنتي سمعاني ؟.

امتـدت يداه ليحرك جسـدها ولـم يجد منها غيـر نظرات من عينين متسعتين يملؤها الحزن والغضب فتحدثت له هبة:

ـهي على كده من يوم وفاة ماما واللي جرالها ودايما يا نايمة بالمهدئات زي مشفتها يا قاعدة كده وبتبص بعنيها وبس.

زفر محمد أنفاسـه وأمسـك بيدها وباليد الأخرى متمسـكا بأخته هبة وكأنه يخاف عليهما حتى وإن كانا بصحبته خرجوا من المشفى متجهين لمنزلهم.

❖ ❖ ❖

سـئم مراد ومل حياته داخل السـيارة، حادث والدته حتى تلين مـن قلب والده فهي من تقف جواره دائما وتتصدى لزوجها حينما يعتـرض علـى أسـلوب حياته، انتظـر حتـى موعد صلاة العشـاء علـى أحر مـن الجمر فهو على يقيـن تام بأن والـده يذهب لإقامة الصـلاة بالمسـجد وهذا هو الوقت المناسـب ليسـتجدي عطف والدته، وعندما استمع لصوت المؤذن من خلال مكبرات الصوت للمسـجد القريب له أمسـك بهاتفه وضغط على رقم المنزل حتى أتاه صوتها الحزين على فراقه:

ـ السلام عليكم.

أجاب بلهفة:

ـ وعليكم السلام يا أمي.

ومـا ان اسـتمعت إلـى صوتـه حتـى ارتجـف جسـدها وذرفت دموعها..

فسأل مراد:

ـ أمي سمعاني.

أجابته الام بلهفة وحنين:

ـ حبيبي يابني وحشتني يااابن عمري طمني عليك بتآكل إزاي؟ بتنام فين يا مراد؟ مين بيغسلك هدمتك؟ طمني عليك ياضنايا.

لم يستطع مراد الإجابة على أسئلة والدته المتلاحقة فحتى هو بعد أن استمع لتلهف والدته عليه ذرف الدموع وعلت شهقاته، لام نفسه ونزواته التي جعلته مشردا بالشوارع وجعلت من والدته أم ملهوفة على ولدها.

وما أن شعرت والدته بأنفاسه وبكائه استجمعت شجاعتها وضج النبض الصعيدي بها:

ـ مراد تعالي يا بني وأنا هتصرف مع أبوك تعالي يا مراد وأنا هاقف له إن شاء الله يطردني، أنا مش هقعد هنا دقيقة من غيرك حياتي ملهاش معنى وانت بعيد يابن ضهري.

رد مراد:

ـ آجي ازاي ياماما وانتي عارفه كلام أبويا سيف، وده عرض وشرف، ومش هيرجع في كلمته أبدا، بس أنا مش عارف أعمل حاجه ولا قادر أروح لأهلها، هيقتلوني يا أمي.

ارتعبت الام فور سماعها ذكره لكلمة القتل فلم لا فقد أطاح بشرف ابنتهم وكثيرا ما حدث وقتل المغتصب وهنا لم تعير كلام زوجها اهتمام أسيموت فلذة كبدها ؟، لم يهمها إن اخطأ أم لا ...

فمرادها اللذي أنجبته بعد عشـرة أعوام من الزواج بدون أبناء ستفقده الآن، إن أخطأ فليصحح خطأه وستذهب هي لأهل الفتاه وتزوجهـا لـه لن تسـمح لأحد بان يسـلبها أعز ما تملـك حتى وإن سلب ابنة الناس شرفها وحياتها وحياة والدتها.

أصبحت تبكي ووليدها يبكي مثلها إلى أن حسمت قرارها وجلت صوتها محدثة إياه:

ـ إنـت عرفت أي معلومـات عنها يامراد.... عنوانها أوتليفونها أوبنت مين.

مراد وقد انتبه لتغيرنبرة والدته:

ـ ليه يا أمي عوزاها ليه.

ردت سريعا والدته:

ـعـاوزه أروح أخطبهـا ليك وأجوزهالك، إنت غلطت وتشـيل غلطتك وده إللي هتقدر عليه لكن يقتلوك، ده أنا أموت يا ابنى، ليها عندنا جواز وإشهار وعيشه كريمه أي بنت تتمناها.

رد مراد:

ـ أنا معرفتش أجيب غير رقم والدها من تليفونها اللي كان واقع في عربيتى يوم الليله المشؤومه.

أردفت والدته:

ـهاتلي التليفون وتعالى على البيت.

أجابها مستفهما:

والحاج هيعمل فيا إيه؟.

ردت والدته سريعا :

ـ نار أبوك ولاجنة الشارع ولا أهلها ، تعالى وأنا هتصرف.

أغلق مراد الاتصال وأدار محرك سيارته متجها لمنزل عائلته ، تاركا التصرف لوالدته.

الفصل السادس

إلـى منزل إبراهيم الخولي عاد الإخـوة الثلاثة لمنزلهم ، الذي بـات بدون حيـاة فأين والدتهم الحنونة التي اعتـادوا مقابلتها لهم بكلمات الترحاب و الحمد و الشكر للّه على عودتهم سالمين ،

و انتظارهـا بـدون أن تتذوق الطعام حتـى تتناوله معهم ، كم سـيفتقدونها ، كيف سيتعايشـون مع عدم وجودها؟ ، فكرة في حد ذاتها غير متقبلة و لكنه أمر اللّه فهل لنا بأنفسنا شيء.

انهمـرت دموعهم كالشـلال ، حتى سـما اختفت مـن و جهها علامـات التبلـد و الجمـود وتحولـت نظراتها إلى الحـزن و القهر معلنة عن اشتعال نوبه هستيريه تحتل جسدها بأكمله صارخة :

ـ ماما سبتيني و رحتي فين يا ماما ، أنا مش عاوزة أعيش من غيرك.

ظلت تركض بخطوات عابثة باحثة عن و الدتها بجميع غرف المنزل ، تضغط بيدها على مقبض كل باب مغلق لتفتحه و تدور بحثاً داخل الغرف ، لم يستطع والدها ولا أخيها و أختها الإمساك بهـا فكانت تتلوى بجسـدها بيـن أيديهم ، و تهـرب منهم لتبحث بغرفـة أخـرى ، إلـى أن انهـت جميـع غـرف المنزل و عـادت إلى غرفتها هزيلة الجسـد و الروح ، يائسـة أن تجدها ، تشـهق بشدة وتنهمـر دموعها ، حتى أغرقت و سـادتها التي احتضنتها بمجرد و صولها إلى سـريرها بالغرفة التي تشاركها بها أختها هبة و التي

تبعتها بدخول الغرفة ،أما و الدها و أخاها ظلا بالخارج ينظر كل منهما للآخر ، لا يعرف كيف يتعامل مع حالة سما و لا يعلمان ما ينبغي فعله بالوقت الحالي فلابد أن يعلم أهل الحي عن و فاة والدتهم و يقيموا العزاء.

فبدأ محمد الحديث مع والده قائلا :

ـ دلوقتي يا بابا احنا اختفينا من وقت اللي حصل لسما ، ودفنا ماما من غير ما حد يعرف من الجيران وأكيد هيسألوا عنها ، و لو قولنا إنها اتوفت هنا طبيعي الناس هتتستغرب و تقول ليه مبلغتوناش و كنا و قفنا معاكوا ، و مش هنخلص.

فأجابه و الده:

ـ و إحنا يا بني كنا فايقين لحاجه كفاية مصيبتنا.

فرد محمد :

ـ الناس مش هينفع تعرف موضوع سما يا بابا إلا إذا كنت قررت نآخد بطارنا و نرفع رآسنا.

انتفض إبراهيم رافضا حديث و لده فهو لا يريد فقده هو الآخر:

ـ لا يامحمد إعمل أى حاجه غير إنك تقتل يابني ،أنا مقدرش أعيش من غيرك ، تفتكر مين هيكون فضهر إخواتك البنات ، أنا خلاص يعالم باقى في عمري أد إيه و إنت اللي باقيلهم.

ربت محمد على كتف والده بحب:

ـ ربنا يحفظك يابابا و يديك الصحة و طولة العمر.

نظر إبراهيم لمحمد بحنان:

ـ العمر بايد ربنا يابني، بس أنا حاسس إني مش هقدر أكمل من غير والدتك.

أفزعت فكرة فقد الوالد محمد فاعترض:

ـلا يا بابا لازم تقوى و ترمي حمولك على ربنا، احنا كلنا محتاجينك، حتى أنا.

ـو نعم بالله يا ابني المهم قولي إنت عاوز تعمل إيه ؟.

رد محمد شارحا ما يدور بعقله:

ـ أنا هبلغ في المسجد إننا هنستقبل عزاء أمى بعد صلاة العشاء، هنا في البيت للسيدات وهعمل صوان، هاكلم محل الفراشة علية، يكون للرجال، و هنعرف الكل إن أمي كانت في زيارة لأهلها و اتوفت هناك و سافرنا دفناها و رجعنا و دا سبب تعب سما و غيابنا عن الناس الفترة اللي فاتت، و أنا هنبه على البنات يقولوا نفس الكلام للسيدات اللي هتيجي و إنت عارف يا حاج الستات طبعها وكلامها.

قال إبراهيم معقبا على ترتيبات محمد:

ـهو مش و اجب يابني تكلم المستشار إيهاب و زوجته نشكرهم، و نعرفهم إن سما رجعت البيت، الناس جمايلهم كترت أوي علينا، و الست رغد بتروح كل يوم واحتمال كمان شويه تتطلع على المستشفى تزورهم.

رد محمد ليطمئنه:

ـلاء، اتطمن يا حاج هي عارفه إنها هتخرج النهاردة، لكن هكلمهم كمان شويه أشكرهم وآخد رأي إيهاب بيه في

الموضوع دا ، الراجل دا فعلا و نعم الرجال و عقله و حكمته مش موجوده اليومين دول.

وافقه و الده الرأي وخفض رأسه أرضا حينما تذكر خذلان أخيه له أمام محمد و إيهاب و أمام نفسه قبلهما ، شعر محمد بقهر و الده و فضل تركه بمفرده و ذهب ليخبرأختيه بما استقر عليه من ترتيب للأمور.

دق باب الغرفة حتى سمع إجابة هبة فدخل ليجد سما مستلقية على السرير محتضنة وسادتها المبتله إثر دموعها ، شاردة بعالم آخر فنظر لهبة قائلا :

ـ حبيبتي إحنا لازم نعمل عزا لماما عشان الجيران يعرفوا.

هبة بأسى وبكاء :

ـ هنعمل عزاء بعد وفاتها بكذا يوم يا محمد.

فسرد لها أخوها ما يريد قوله و فعله و ما سبق أن و افق عليه و الده فوافقته الرأي هي الأخرى واطمأنت أكثر حينما علمت بأنه سيحادث إيهاب و رغد فهي بالأيام السابقة اقتربت من رغد ، و ربما تكون هي الوحيده التي استطاعت جعلها متماسكة هكذا ، بحكمتها و حديثها الدائم معها عن قيمتها لدى عائلتها الآن ، و لابد من تماسكها لتكون عوضا عن و الدتها حتى تطمئن روحها بمثواها و عليها أن تفعل ما بوسعها الآن من أجل حماية أختها مما يتوقع أن يفعله والدها بها.

ذهب محمد تاركا أختيه ، إحداهما تراعي أمور المنزل محاولة استجماع قوتها ، و الأخرى نائمة بفعل العقاقير الطبية

المهدئة التي أعطتها لها أختها كما أمر الطبيب حتى تتجاوزهذه المحنـة ، أعـددت هبة الطعام كما رتبـت المنزل و قامت برص المقاعـد التي أتى بها محمد ، وبالمسـاء علت أصوات مكبرات الصوت بتـلاوة القرآن الكريم و فتح باب المنزل على مصراعية لاسـتقبال المعزين من النسـاء ، كما و قف محمـد بجوار و الده داخل الصوان لاسـتقبال الرجـال وتقبل عزاء و الدته ، وكان أول المعزيين إيهاب و زوجته بصحبة ابنيهما ، هذان الشـابان الرائعان خلقـا و جمالا اللذان حينما علما بذهاب و الديهما لتقديم و اجب العزاء ، أصـرا أن يشـاركهما هـذا الواجـب لمجـرد أن المتوفاه إحدى معارف و الدتهم ، ولما لايكونا بهذه الأخلاق الحميده فهما أبناء تلك المرأة الودودة الحنونة و زوجها الخلوق ، فهذا الشبل من ذاك الأسـد صافـح إيهاب ونجلاه رامين و رايان كلا من محمد ووالده مقدمين لهما التعازي بعد أن قام إيهاب بتعريف كل منهم للآخـر و صعدت رغد إلى حيث مجلس النسـاء لتسـتقبلها هبة و تعرفها على سيدات العقار والحي.

انتهـى العـزاء و انفـض الصوان و بـدأ الرجـال بازالته و طلب إيهـاب من محمـد أن يخبر زوجته لتنزل ليغـادروا و لكن محمد ووالده رفضا بشـدة وأصـرا على اصطحابه و نجـلاه إلى منزلهم وافق إيهاب و صعدوا جميعهم ، دلف محمد أولا ليتأكد من خلو المـكان ولكـي يعطي أختاه وقتهما لاسـتقبال من معهم ، بحث عـن هبـة فلـم يجدها ببهـو المنـزل و لكنـه و جد بـاب غرفتها موصـود فذهب إليها مصـدرا صوتا بحنجرته (احـم احم) ثم دق باب الغرفة فأتاه صوتها :

ـتعالى يا محمد ادخل.

ليجد كل من هبة و رغد تجلسان بجوار سما فمد يده لرغد مصافحا:

ـ سلام عليكم مدام رغد.

ـ و عليكم السلام، إزيك يا محمد.

ـ الحمد لله بخير.

ـ البقاء لله و حده ربنا يصبر قلوبكم يابني.

تساءلت هبة:

ـ هو الصوان خلص يا محمد؟

ـ أيوا خلص و سيادة المستشار معانا هنا برا، بعد إذنك إعمليلنا قهوة ياهبة.

رغد مندهشه:

ـ إيهاب و الولاد برا؟!!

ـ أيوا أصرينا عليهم يطلعوا شويه معانا، محتاج أتكلم مع إيهاب بيه شوية و محتاج حضرتك كمان.

فنظرت رغد لسما الجالسة على سريرها و دموعها تنهمر على خديها، بعد حديث رغد معها ومحاولتها إعادتها إلى حياتها ودراستها مرة أخرى و ربطت على يديها قائلة:

ـ أنا هاخرج أقعد برا شوية، متيجي يا سما تتعرفي على جوزي وولادي.

زاغت عيون سما باعتذار لرغد وكأنها تقول لها لا أستطيع

مواجهة البشر، وتفهمت رغد حديث عيناها.

فأجابتها مطمئنة:

ـ تعالي يا حبيبتي إيهاب زوجي زي باباكي، وأولادي فاعتبريهم زي محمد أخوكي بالظبط، هيكونوا في ضهرك دايما، و صدقيني عمر ما كلمة من اللي حصل هتطلع منهم لمخلوق.

تدخلت هبة بالحديث قائلة:

ـ تعالي ياسما حتى سلمي على عمي إيهاب واشكرية، ده عمل حاجات كتير أوي علشان ماما.

اعترضت رغد:

ـ لا يا هبة يا بنتي، أنا عوزاها تخرج تتعرف عليه مش علشان تشكرة، و إلا إنتوا لسه مش معتبرينا أهلكم و إلا إيه.

أجابها محمد سريعا:

ـ لا طبعا، ده اللي حضراتكم عملتوه معانا عمرنا ما شفناه من حد من أهلنا، ده شرف لينا معرفتكم.

هزت رغد رأسها يمينا ويسارا:

ـ لا يا محمد إنتوا إللي ناس طيبين، و زي مابيقولوا الطيور على أشكالها تقع وإحنا إتقابلنا علشان نشبه بعض.

لم يستطع أيا من محمد أو هبة الرد على تلك الكلمات الرائعة، أما سما فقامت من جلستها ملقية بنفسها في حضن رغد تستمد منها الحنان الذي افتقدته بوفاة و الدتها، فضمتها رغد ثم فتحت ذراعيها مشيرة لهبة حتى تشاركهم هذا الدفء

و كأنها تقول لهم (أنا مكان والدتكما وبجانبكما وقتما تحتاجونني).

أثر هذا المشهد على محمد وتذكر والدته حينما كانت تفعلها وهو يشاكسها ويتهمها أنها تحبهما أكثر منه فكانت تحتضنه هو الآخر و لكن الآن لن يجد هذا الحضن الدافىء خاصتهما فقرر الخروج وترك مساحة لأختيه مع رغد.

بغرفة إستقبال الضيوف وجد محمد والده يجلس بصحبة إيهاب ونجلاه فجلس بجوار أحدهما مرحبا به:

ـ أهلا بكم.. أنا أتشرف بمعرفتكم.

فأجابة رامين وهو الابن الأكبر لإيهاب:

ـ الشرف لينا يا أستاذ محمد ، وكنت اتمنى نتقابل في ظروف أفضل من كده.

ابراهيم:

ـ التلاقي نصيب يابني ويمكن ربنا دبر كل حاجه علشان نتعرف على ناس كرمه وطيبين زيكم.

وهنا خرجت رغد تساند سما و تلحقهم هبة حاملة بيدها صينية عليها أقداح القهوة وبدأت بتقديمها لهم بداية من إيهاب الجالس يمين و الدها ثم والدها منتقله إلى رايان الابن الأصغر لإيهاب و رغد وأخيرا إلى رامين الذي لم ينتبه لما تقدمة له هبة و لكنه انتبة لتلك الزهرة الذابلة وهذا الحزن الظاهر في عيناها ، فغض بصره سريعا و تمنى ألا يكون قد رآه أحد الجالسين و لكن نظراته لم تخفى على و الدته ، وبعد أن قدمت هبة للجميع

قامت بوضع الصينية فوق المنضده و جلست بجوار رغد و سما وكان بها شيء من الحزن ما جعلها لا تنتبة لشيء، حتى و لو كانت و سامة و جاذبية هذا الرامين.

عم الصمت لثواني حتى قطعه إيهاب موجها حديثة لسما :

ـ و إنتي عامله إيه دلوقتي يا سما يابنتي ؟.

فأجابته بصوت بكاء يسمعه من يجاورها :

ـ الحمد لله.

ـ يارب دايما بخير، أنا عرفت إنك ثانويه عامه، يالا شدي حيلك عاوزك تجيبي مجموع كبير إن شاء الله.

رد إبراهيم:

ـ لا هي كده كفاية عليها و تقعد معايا، لحد ماربنا يدبر أمرها.

اتسعت أعين الجميع من هول المفاجأة، و كان إبراهيم قد ألقى بجملته متعمدا ليحسم الأمر.

ولكن هيهات.....

فرغد التي أخذت على عاتقها حماية هاتان الفتاتان فلا و ألف لا فتحدثت ثائرة:

ـ إزاي الكلام دا يا حاج إبراهيم !!! اسمحلي، إنت كده بتقضي عليها، هي ذنبها إيه علشان تنهي حياتها.

ساندها محمد قائلا:

ـ بابا حضرتك فاجئتني بكلامك، إزاي تقول كدا ؟! سما

لازم تكمل تعليمها ، مش هنكون إحنا والدنيا عليها.

خجلت سما من حديثهم وتذكرت حادثتها فتنبهت و اقفة هاربة من أعين الجميع لداخل غرفتها ولحقتها هبة لتهدىء من حالها ، أما بالخارج فأصبح المكان كساحة الحرب بين إبراهيم وقرارة و بالجهة المضادة له محمد و رغد فكل منهم له رأيه ، إلى أن قرر إيهاب التدخل وحل الأمر برزانته المعهودة موجها حديثة لإبراهيم مشيرا لزوجتة ومحمد بالانتظار:

ـ فهمني و جهة نظرك يا حاج إبراهيم.

إبراهيم:

ـ اسمعني يا إيهاب بيه ، إنت أب زي حالاتي و هتفهم حيرتي ، إزاي آآمن عليها و هي بحالتها دي ، إفرض اللي عمل كدة يكون متربصلها تاني ويأذيها المرة دي ويقضي عليها نهائي علشان ماتعترفش عليه.

إيهاب بعد أن تفهم مخاوفه:

ـ أنا مش هعارض كلامك ، لإن ده ممكن يحصل فعلا ، وده لو حصل هتكون إنت سبب فيه علشان رفضت تبلغ عن الحادثة من أول يوم كان زمان المباحث اتحركت و جابت الشخص دة ، وضمنا إنه اتحبس ، لكن إنت خوفت من الشوشرة وكلام الناس ، رغم إن بنتك ضحية ، ودلوقتي عاوز تكمل ظلمك ليها ، و تحبسها هي البريئة و تسيب الجاني عايش حياته و يمكن يكون ضاع بسببه حياة بنت واثنين و يمكن أكتر.

رد ابراهيم غاضبا:

ـ يعني أنا بقيت السبب دلوقتي علشان خايف على بنتي من

كلام الناس و من الوحوش اللي في الدنيا على هيئة بني آدمين.

إيهاب وهو يضرب على يده:

ـ أنا مش بلومك، أنا عاوز أعرفك إنك علشان تحافظ عليها من كلام الناس ممكن لاقدر الله تخسرها هي نفسها زي مانت فكرت... فإحنا دلوقتي مقدمناش غير إننا نسيبها على الله والثانويه العامه بيذاكروا في البيت، ولو عندها مجموعات خصوصية محمد أوحد من إخواتها رامين أو ريان يوصلوها في سكتهم ولو محدش فيهم فاضي أنا هوصلها.

قاطعته رغد قائلة:

ـ و لا أي حد منكم أنا مسؤولة عنها و عن دراستها، بعد إذنك يا حاج إبراهيم أنا هآخد الجدول الخاص بالدروس، وهاكون معاها آخدها وأرجعها، هي قبل ما تكون محتاجة حد يوصلها هي محتاجة قلب يحتويها ويخرج بيها من محنتها.

ارتسمت ملامح الدهشة على و جه إبراهيم و محمد، فمن أين لهم بهذا الملاك القابع بجسد هذه المرأة، أيعقل أن يكون بحياتنا مثلها، أما إيهاب فامتلئت نظراته بالفخر و الحب لهذة المرأه الحنونه التي ساندته طيلة حياته و كانت دائما وأبدا جديرة بعشقه لها فمن منا لا يعشق قلب رحيم ودود كقلب رغد، أما هذان الشابان الجالسان فيكفيهما أن هذه السيدة العظيمة و الدتهما التي ورثا عنها حنانها و لين قلبها كما ورثا الشموخ و الرجولة و المروءة من و الدهما.

❖ ❖ ❖

بداخل غرفة سما وهبة..

حينما لحقت هبة بأختها و جدتها تبكي و تتعالى شهقاتها ، ضمتها هبة لحضنها تالية عليها آيات من القرآن لعلها تهدئها ، و لكن سما ظلت تهذي بكلمات لا معنى لها حتى تركتها هبة وخرجت مسرعة لاستدعاء رغد ، ربما تستطيع أن تفعل لها شيء وصاحت:

ـ طنط رغد ، مش عارفه سما مالها بتقول كلام غريب ، كإنه تخاريف.

هبت رغد مسرعة بعد أن ألقت بنظراتها اللائمة على إبراهيم بسبب ما قاله أمامها ، وذهبت لغرفة سما محاولة تهدئتها لتفاجأ بها فاقدة للوعي:

ـ هبة هاتيلي أي برفان.

فناولتها هبة إحدى زجاجات العطور الخاصة بها و قامت رغد بمسح المنطقة تحت أنف سما حتى تتنفسها ، دقائق و عادت سما لوعيها ولكنها مازالت تهذي (أنا ماليش ذنب أنا معرفوش..... هو السواق اللي عمل كده فيا.....أنا اترجيته يسيبني)

انتبه كل من رغد وهبة إلى ماتقولة سما ولكن ليس وحدهما فحينما أبلغتهم هبة مايحدث أسرع خلفهم محمد أيضا و أصبح الآن على يقين أن أخته ضحية لسائق عابث ، كل ذنبها أنها اختارت سيارته لإيصالها مسكنها وعليه أن يجده.

لم يكن يعلم أنه بنفس تلك اللحظات ذلك السائق يجلس مع والدته يخططان كيف يصلان لعائلتة لطلب ضحيته للزواج و

كأنه بهذا سيعوضها عن ما فقدته.

❖ ❖ ❖

بمنزل الشيخ محمود.....

وصل مراد إلى والدته مسرعا قبل عودة والده الذي يعلم أنه يطيل في مجلسة بالمسجد بعد صلاة العشاء ويجتمع بالمصليين يلقى عليهم العظات الدينية.

استقبلته أمه استقبال الفاتحين غير عابئة بفعلته الشنعاء، هللت ورحبت بمقدمه و قدمت له من المأكولات ما لذ و طاب، ففلذة كبدها كان يعيش بالأيام السابقة على المأكولات والوجبات السريعة المنتشرة بالأسواق، و لم يمر بخاطرها تلك المسكينة التي سلبها ابنها شرفها وقلب حياتها رأسًا على عقب ولم تفكر في حالها.

جلست بالمقعد المقابل له على منضدة الطعام تحثه على الأكل، ثم و جهت له سؤالها:

ـ فهمني بقى قبل ما أبوك مايرجع، عرفت إيه عنها؟.

رد مراد و فمة ممتلئ بالطعام:

ـ معرفتش حاجه، غير إن في حد عندهم مات، لما لقيت تليفونها و صاحبتها كانت بتكلمها عرفت إن اسمها سما، اتصلت وسألت عن أبوها وفضلت أقولة عاوز أقابلك بخصوص سما وهو يقولي إنت مين لحد ما عطى التليفون لأخوها و فضل يغلط فيا تهتهت و قفلت التليفون.

أغمضت عينا وفتحت الأخرى:

ـ طيب فين التليفون ده دلوقتي؟.

ـ أهو معايا عوزاه ليه؟.

ـ شوفلي كدة الأسامي المتسجلة عليه مين و مين؟.

مسح مراد يده و أمسك بهاتف سما و ظل يعبث به حتى و صل للقائمة المدون بها الأسماء ووجد بها رقم لهاتف مسجل باسم بيتنا ،وهنا وجدت الأم ضالتها وصرخت به:

ـقوم بسرعه هاتلي تليفون البيت.

ـهتعملي إيه؟! فهميني بس قبل ماتعملي حاجه و أبويا يقلب علينا.

ـ متقلقش،أنا عارفه هعمل إيه،هكلم أمها وأروح أزورها ،دي مهما كانت أم عاوزة تستر على بنتها وهتحس بيا و بقلبي الموجوع عليك، رغم إني زعلانه من اللي عملته وماكنتش أتوقعه منك، لكن مقدرش أشوفك بتضيع مني وأقف اتفرج.

خفض مراد نظره أرضا باستيحاء من فعلته، فهو ندم أشد الندم، ولكنه أيضا يخاف الموت، شعرت به و الدتة فطلبت منه أن يسرع و يعطيها الهاتف المنزلي وبالفعل قامت بالاتصال على الرقم المسجل.

سمع إبراهيم رنين الهاتف فاتجه صوبه ليرد:

ـ سلام عليكم.

ـ وعليكم السلام و رحمة الله و بركاته.

ـأيوة مين معايا؟

ـ أنا سعاد معرفة أم سما ممكن أكلمها؟

رد إبراهيم بنبرة يملؤها الحزن:

ـ أم سما تعيشي انتي يا حاجه.

شهقت سعاد :

ـ ياقلبي...امتى الكلام دا؟

ـ من كام يوم اتوفت ودفناها في البلد.

كان وقع الخبر مفاجئا لسعاد لكنها تمالكت نفسها و أعملت عقلها سريعا :

ـ طيب أنا عاوزه آجي أعزي ولادها بس معرفش العنوان.

أملى عليها إبراهيم العنوان، و في خضم البراكين الثائرة في رأسه و قلبه لم ينتبه لتكنيتها زوجته بأم سما مع أنها لو كانت حقا تعرفها لكانت كنتها بأم محمد ، و لو كانت تعرفها لكان عنوان المنزل معروفا لها ، لكن ذابت تلك التساؤلات بحمم ما هو فيه ما شعور بفقد زوجته وطعن في شرفه.

أغلق سماعة الهاتف و ذهب ليجلس بجانب إيهاب.

الفصل السابع

أمـا و الـدة مـراد فقد نالـت مـا أرادت معها العنـوان و عليها أن تذهب و تسـتوضح الأمور بنفسـها لم تدم فرحتها طويلا ، فتح بـاب المنزل و دلف إليهم الشـيخ محمـود كالطوفان بعد أن رأى سـيارة و لده مصطفة أمـام العقار ، وبمجرد أن و قعت عينيه عليه سيطرعلى مراد الفزع من و الده بعد أن رأى و جهه لا ينبأ بالخير ، و لكن كعادتها انبرت سـعاد للدفاع عن مراد كالنمرة الشرسة ووقفت أمامه تحيل بين جسـد ولدها ووالـده رافعه ذراعيها تمنع وصوله إليه صارخة به :

ـ استحلفك باللّٰه يا محمود ماتمدش إيدك عليه ولو قربت من ابنـي يبقى إنت اللي بعت عشـرة السـنين و هارجـع النهاردة دوار أبويا.

كان و قـع كلماتهـا علـى أذنيـه صادمـا فـلأول مـرة منـذ أن تزوجـا مـن أكثـر مـن سـبع وثلاثون عامـا تنطـق بمثل هذه الكلمـات ، وقـف حائرا أيجب عليـة الآن أن يتخـذ موقفا حيال مافعله ولده من مخالفة لتعاليم الدين و الشـرع أم عليه أن يترك تلـك الزوجه التي سـاندته عمـرة بأكمله وتحملـت معه الكثير والكثير فصاح بها :

ـ انتى اتجنيتي يا سـعاد عاوز تسيبيني علشان ابنك إللي ظلم بنات الناس ، ابنك إللي خسر دينه ودنيته.

سعاد محاولة تهدئته واسترضاءه:

ـ هنحلها ياخويا و اللّه، بأمر اللّه، وهحلها بكرة إن كان ليا عمر هروح لأهلها و أخطبهاله وأعملها احسن فرح.

ـ وهيعيشوا فين و ابنك معندوش شقه؟

ـ يعيشوا معانا مالبيت كبير... أنا هروح لأهلها الأول لوحدي، و بعد كده نروح أنا و إنت وهو يلبسها شبكة، و هنبيع باقي حتة الأرض ورثي من أبويا وأجيبلها كل اللي تشاور عليه، هراضيها وأفرحها و هكون لها أم بدل أمها اللّه يرحمها.

هز رأسه بأسى:

ـ لا حول و لاقوة إلا باللّه، هي البنت يتيمه كمان، منك للّه يا مراد يابني...ربنا ينتقم منك.

ـ خلاص بقا ماتدعيش عليه و بعدين هي أمها لسه ميته من كام يوم في بلدهم.

رد غاضبا:

ـ تلاقيها ماتت من قهرتها على بنتها، يعني بقى في رقبتك ذنب أمها كمان و تفتكري هيرضوا بابنك ده، مش بعيد يطلبولك البوليس.

ردت بثقة:

ـ لامتقلقش عليا، أنا هعرف اتصرف.

ظل محمود يضرب كفا على كف ويردد:

ـ لا حول و لا قوة الا باللّه... اللهم أجرني في مصيبتي... اللهم

أجرني في مصيبتي.

وتركهما وانفرد بنفسه يقرأ بالمصحف الشريف لعله يطفىء نار قلبه في فعله و لده ودفاع زوجته عنه.

❖ ❖ ❖

بمنزل إبراهيم الخولي

بعد أن هدئت سما و استطاعت رغد إقناعها بتناول العقاقير الطبيه وذهبت في سبات عميق على إثرها ، كل من هبة و رغد خرجتا إلي بهو المنزل ليشاركا الجميع حديثهم بعد أن استطاعوا معرفة بعضا مما حدث فوجهت رغد حديثها إلى زوجها إيهاب:

ـ من كلام سما إن السواق اللي ركبت معاه هو اللي عمل كده ، ماتقدرش تعرف عن طريق الكاميرات رقم العربيه مثلا و حد من معارفك في المرور يجيبلنا بياناته.

تساءل إيهاب:

ـو بالنسبه للكاميرات دي هنعرفها ازاي ؟.. مافيش حد فينا يعرف المكان اللي ركبت منه سما.

أجاب محمد سريعا :

ـ هي كانت في درس في شارع.... وأكيد ركبت من أول الطريق.

نبهتهم هبة :

ـ بس هو مش تفريغ الكاميرات ده محتاج تصريح نيابة

وكده هنضطر نعمل محضر.

انتفض والدهم فور أن سمع بحديث هبه عن معرفة الشرطه و التحقيق بما حدث صارخا:

ـ لا قولنا مش عاوزين نبلغ.. مش عاوزين فضايح.

إيهاب مهدئاً:

ـ إهدى بس، إنت عارف إني عامل اتصالاتي وضبطت موضوع النيابه و البلاغ بعلاقاتي وفعلا المفروض يكون تفريغ الكاميرات بإذن نيابه لكن طبعا إحنا هنحاول نمشيها ودي مع أصحاب المحلات اللي في المنطقة و نآخد رقم العربيه ويحلها ربنا.

قالت رغد:

ـ عموما استنوا يومين كمان و أنا هحاول آخد سما و أخرج ونروح المكان اللي كان فيه الدرس ونشوف رد فعلها هناك هيكون إيه.

صدق محمد على فكرتها:

ـ فعلا هي ممكن تفتكر حاجات أكتر وتقولها وده يقربنا أكثر من هدفنا.

وافقهم إيهاب:

ـ على خيرة الله.. يبقى كده اتفقنا و إنت ياحاج إبراهيم متقلقش على بناتك هما مع أمهم الثانيه.

ربت إبراهيم على كتف إيهاب:

ـ ربنـا يباركلنا فيكم إيهاب بيـه ويحفظكم وأولادكم... كل يوم جمايلك بتزيد عليا وعلى أولادي.

كان رامين و رايان يستمعان للحديث ملتزمين الصمت.

أحاط إيهاب إبراهيم بذراعه:

ـ أولا بلاش إيهاب بيه دي، إنت زي أخويا تقولي يا إيهاب و لو تقيله عليك قول يا أبو رامين و إنت يامحمد اسمي عمي إيهاب ثم نظر لهبة ماشي يا آنسة هبة.

أجابـة الجميـع بالموافقـه مرحبيـن بعلاقتهـم بهـذه العائلـه الكريمة خلقا، اسـتأذن إيهاب بالانصـراف واحتضنت رغد هبة مطمئنـة لهـا واعدة إياها أنها سـتكون معها غـدا و لن تتركها وحدها.

عـاد إيهـاب و عائلتـه إلى منزلهـم و لم يفت علـى رغد نظرات ولدها الأكبر الذي لم يتحدث طيلة الوقت و ذهب لعالم آخر فور رؤيته لهبة، حتى أنه لم يقدم لهم يد العون أثناء تدهور حالة سما بالرغـم من عمله كطبيب وهي تعلم جيدا أن و لدها يسـاعد أي إنسـان، و لكنة اليوم لم يحـاول التدخل، ولا تعلم لماذا؟ فقررت مراوغته بمشاكسة متسائلة:

ـ قولـي يارامين صحيح إنت ماقومتش أوعرضت مسـاعدتك وقـت ما سـما تعبت... يعنـي الناس عمالين يقولـوا نجيب دكتور وإنت كأنك سيبت الطب خالص.

احمر و جه رامين خجلا حينما تيقن أن و الدته كشـفت أمر نظراته لتلك الزهرة، فأجابها رايان بابتسـامته تشق وجهه والذي

كشف أمر أخيه أيضًا:

ـ هيقـوم إزاي يـا سـت الكل هو كان مشـغول بيفكر في مريضه تانيه.

نظـرت رغد لولدهـا الأكبر لتجده سيشـتعل غضبا فحاولت معالجة الموقف وتغير مسار الحديث قائلة:

ـ يلا مش مهم، المهم ادخلوا غيروا لبسكم علشان نتعشى و بابا ينام عنده محكمه الصبح.

إيهاب و قد ظهرت عليه علامات الاستياء من حديثهم:

ـ بابا مسـتني تخلصوا الكوميديا السـوداء اللي بتقدموها، والله عيب عليكم يعني إحنا راجعين من عزا و الناس في ظروف صعبة و انتو جايين تهزروا.

خجلت رغد مما فعلت و لكنها فعلته بحسن نية فهي منذ رأت هبة و توسمت فيها الأدب وتمنتها زوجة لولدها رامين فهي تشبهه فـي طبـاع كثيـرة، هدوئها، رزانتها، أخلاقهـا، وزادت رغبتهـا حينمـا لاحظت إعجابـه بها، أما رايان فاعتذر من والده و أسـرع إلى غرفته متخفيا عن أعين والده... فدائما ماكان رايان خفيف الظـل وهـو من يملأ المنزل مرح و سـعاده وبعكـس أخيه رامين الهادئ دائما و متعته الوحيده هي القراءة وممارسة الرياضة.

دلفـت رغـد خلف زوجهـا الحبيـب فيصعب عليهـا غضبه من فعلتها امتدت يداها لتحمل عن جسـده سـترته ووضعتها بالحامل المخصـص لها، تفهم هو محاولتهما لارضاءه فكيف لا يعرف و هي حب العمر وزميلة دراسـته فاسـتدار بجسده ناظرا لها نظرة

حملت قليلا من العتاب و كثيرا من الحب فاختبأت هي بدورها بين ذراعيه محتضنة إياه و كأنها تختبأ منه بداخله فضمها إيهاب إليه أكثر رافعا و جهها بأنامله ليجعلها تنظر بعيناه و ليبحر بعينيها اللتان تشبهان القهوه الذائبه والتي ورثها عنها أبنائها.

لتبدأ هي قائلة:

ـ أنا آسفه... ماكنتش أقصد أضايقك بس حبيت البنات أوي، و اتمنتها لرامين.

إيهاب بابتسامة هادئه زينت و جهه:

ـ عارف وفهمتك من أول مابصيتي على نظرة ابنك ليها، و عديت الموضوع لكن تحرجوه إنتِ و أخوه دي كانت صعبة وزعلت منك فيها.

رغد و عيونها يملأها الاعتذار:

ـ خلاص ياهوبا حقك عليا ولا إنت لازم تتصالح.

إيهاب بمراوغة:

ـ انتي عرفاني راجل حقاني و انتي غلطتي و اللي غلط يتعاقب وأعتقد انتي عارفه عقابك.

شبت رغد واقفه على أطراف أصابعها فهي قصيرة القامة أمام طول ايهاب الفاره و احتضنت وجهه بكفيها مقبله إياه قبلة ناعمة رقيقه، بثت من خلالها عشقها و اعتذارها وقبلت بعقابها وتمنت أن تعاقب كل دقيقه فإيهاب العشق والروح والحياه لقلبها البريء النقي..

إبتسم إيهاب دليلا عن رضائة عنها و ضمها لصدره مداعبا لها :

ـ أنا بقول بلاش عشا النهاردة.

رغد و قد تذكرت ابنيها و أمر العشاء فخرجت من بين ذراعيه مسرعة لخارج الغرفة حتى تهرب من مداعباته ، فإيهابها حتى و إن غطى الشيب شعره سيظل قلبه شابا ،

لحقها إيهاب ليجد نجلاه منتظران جالسان على منضدة الطعام.

❖ ❖ ❖

أما بمنزل الشيخ محمود...

دلفت إليه زوجته بعد أن اطمأنت أنه رضخ لرغبتها و سيبقى ابنها بالمنزل، لتجده ما زال يتلو آيات القرآن الكريم فجلست بجواره ولكنه لم ينتهي فانتظرت حتى وصل لنهاية الآيه القرآنيه

وهمت بقول (صدق الله العظيم) فنظر لها بطرف عينه و أغلق المصحف الشريف ووضعه فوق المنضده وقام من جلسته لتمسك هي بيده قائلة :

ـ إيه يا أبو مراد !! إنت زعلان مني و إلا إيه ؟.

محمود و قد احتدت ملامحه وظهرت عليه علامات الغضب:

ـ أنا سيبتك تعملي اللي انتي عوزاه وتدلعي ابنك و تضيعيه أكتر ما ضاع لكن تيجي على بنت الناس اللي اتظلمت دي ، أنا اللي هرجعك بنفسي دوار أبوكي وأعرف إخواتك بعملة ابنك

ومن انهاردة شوفي ليا مكان تاني أنام فيه.

ضربت بيدها على صدرها :

ـ يامحمود بعد العمر ده هتفارقني، ده انت عمرك ما عملتها ، .. هو ده اللي الرسول عليه الصلاه و السلام كان بيعمله مع زوجاته.

رفع محمود حاجبيه: هو ده كلام ربنا تأديبكم بهجر المضجع، ماهو لو أنا من الرجاله اللي ممكن تمد ايدها على حريمها كنت زماني مكسر عظامك انتي و ابنك.

فتحت سعاد عينيها على اتساعهما :

ـ هي حصلت يامحمود تضربني كمان.

رد بهدوء:

ـعرفتي بقى إن هجرك هو أفضل عقاب ، و إعرفي انتي و ابنك لو البنت دي رفضته أنا بنفسي اللي هسلمه للنيابه ، ولو و افقت مغصوبه ابنك مش هيلمسها غير برضاها.

ردت باستنكار:

ـإيه اللي بتقوله ده يا شيخ محمود هتمنع شرع ربنا ، وتمنعه من حقه في مراته ، ده حتى انت حافظ كتاب اللّه.

ـ لو البنت مغصوبة يبقى زواج مكره وحرام شرعا.

ردت تُمني نفسها :

ـ إن شاء اللّه توافق... سيبها على اللّه انت بس.

ضرب محمود بكفيه على رأسه من تلك السيده العنيده التي

لا تستوعب الموقف، و كل ما يهمها هو إنقاذ ابنها فقرر ألا يجلس معها و يتركها و حدها لعلها تستعيد عقلها فدائما ما كانت رزينة حنونه إلا عندما يتعلق الأمر بولدها فتتحول لنمرة جائعة.

أما هي فتركته يذهب كما يشاء فعليها أن تنهي أمر زواج نجلها من ضحيته، ثم تتفرغ لارضائه

فهو زوجها و ابن عمها، هو من تربت على يده، ولكن دائما ماكان يغلب عليها طباع المرأة الصعيدية من قوة و شجاعة و هي بالأخير أم، و مهما اختلفت الطباع فالأم تحمي أبنائها حتى وإن كانت هرة.

مر الليل على الجميع كل منهم يفكر بحاله الآن، أما هذا العاشق من أول نظرة فيراها بكل مكان حوله ظل ليلته يتقلب على جمر النار، يتألم لعيونها الذابله، يتمنى أن يكتبها اللّه على اسمه حتى يمحي عنها كل ما مرت به من الألم، فهو سيكرس حياته ليداوي جراحها، عقد العزم أن يحادث والده في الصباح فهو لن يخلف ثقته حينما أدخله والدها منزله فسيدخل البيوت من أبوابها، كم تمنى أن تبادله إعجابه بها بالوقت الحالي، حتى تكون حلاله، و آنذاك سيجعلها تهيم به عشقا، قاطع جلسته مع نفسه دخول والدته إلى الغرفة بعد أن شعرت بحركته ليلا متسائله بقلق:

ـ مالك يارامين ؟إيه اللي مصحيك لدلوقتي ؟ معندكش شغل الصبح؟!!

ـ عادي،طبعا ياماما عندي شغل هي المستشفيات الاستثماريه بترحم يا أمي.

قالت مبتسمة وهي تقترب منه و تربت على كتفه:

ـ طيب إيه اللي قالقك كده؟ تكون زعلت مني أنا و أخوك.

رامين بابتسامه لها:

ـ ياماما ماقدرش أزعل من حضرتك،ورايان ده حبيبي لوماعملش كده أنا هستغرب.

ضحكت:

ـ طيب قول بقى قبل سيادة المستشار مايجي و يمسكنا متلبسين... ها.. الموضوع فيه هبة مش كدا.

أماء رامين برأسه دليلا على موافقته على كلام و الدته

فارتسم السرور على محياها:

ـ هبة بنت مؤدبه و حنونه جدا و فيها كل مواصفات الزوجه اللي اتمناهالك ده غير إنها شبهك بجد.

فهم رامين من حديث والدته أنها توافق على زواجه من هبة فتشجع أكثر قائلا لها:

ـطيب يا رورو يا حبيبتي ماتكلميلنا سيادة المستشار في الموضوع ده.

احتضنته رغد و الفرحه تملأ قلبها فقد تحقق حلمها وسيتزوج ابنها الاكبر:

ـ بس كده يا قلبي من عيوني هكلمه الصبح أول ما

يصحـى... بس نـام إنت بقى و إنت مرتاح علشـان فـي أرواح ناس تحت إيدك الصبح يا دكتور.

ارتاح قلبه جزئيا و رد:

ـ معاكي حق و الله ده أنا عندي عمليات كمان بكرة.

وقفت رغد متجهة لباب الغرفه و أرادت مداعبته:

ـ على فكرة يارامو هبة طالبة في كلية العلوم.

ثم أشارت له بيدها مودعه إياه، مغلقة باب الغرفة.

ظهرت ابتسـامتة الهادئة وهو يحدث نفسـه ويداه تمتد ساحبة الغطاء:

ـيعني عقلية عملية كمان فعلا يارورو شبهي أوي.

قال هذه الكلمات وذهب بسبات عميق.

الفصل الثامن

نشـر قـرص الشـمس أشـعته الذهبيه معلنـا بداية يـوم جديد يحمل بين طياته الكثير و الكثير تملل إيهاب من نومه إثر صوت المنبه المزعج الذي اختارته رغد خصيصا من أجل مشاكسـته يوميا فهو يصدر صوت الببغاء المتحدث قائلا:

ـ صباح الخير.

إيهـاب و هـو يضغـط على زر إغـلاق الصوت و ينظـر للنائمة بجوارة:

ـ صبـاح النور يا سـيدي، أقولك إيه يعنـي و حبيبتي جيباك تزعجني.

اسـتيقظت رغـد بابتسـامتها المشـرقة كقـرص الشـمس لتكشف عن زوج غمازتها اللاتي يعشقهما زوجها:

ـ صباح الفل والورد و الياسمين على حبيبي.

ـ ده إيه الصباح الجميل اللي بيبدأ برضا رغد هانم على العبد الفقير إيهاب رضوان.

رغد مصطنعة الغضب:

ـ كده برضة ياهوبه يعني أنا كل يوم مش بدلعك.

إيهاب وهو يداعب أنفها بيده واقفا عن السرير:

ـ بس انهارده بزياده شوية.

رغد وهي تلحقه:

ـ ماشي يا إيهاب كده، ده شغل قطط تآكل وتنكر.

ضمها بين ذراعية مبتسما على دُعابتها مقبلا لجبينها فمهما زاد عمرها ستظل دائما وأبدا طفلته وحب عمره حتى إن كان الفارق بينهم عامان فقط.

اجتمعت عائلة إيهاب على مائدة الطعام لتناول الفطور فرغد لن تتنازل عن جمع عائلتها يوميا في الصباح للفطور و في المساء للعشاء لانشغالهم دائما وعدم توافق مواعيدهم بوجبة الغداء سألها إيهاب:

ـ حبيبتي انتي هتروحي انهاردة لسما ؟.

ـ أيوة طبعا، مش هينفع أسيب هبة تتعامل معاها لوحدها، إنت شوفت بنفسك هي حالتها صعبة إزاي.

أماء إيهاب برأسه بمزيد من الأسى على حال تلك الفتاه و عائلتها، ربتت رغد على يده تطمئنة أنها دائما بجانبهم و لن تكل و تمل منهم أبدا ليقطع حالة الصمت و الحزن المسيطر عليهم رايان محاولا جذب انتباههم لموضوع آخر:

ـ حضرتك نسيتيني خالص يارورو هانم و نسيتي تجهزيلي الكيك اللي طلبته منك علشان زملاتي في الشغل دول داوشني عاوزين من الكيك من بتاع مامتك.

عقب إيهاب :

ـ يابني نفسي تقول جمله صح و احده، يعني حضرتك و رورو في نفس الجمله فهمني إزاي.

ابتسم رايان:

ـ لا يا سيادة المستشار حضرتك علشان ده احترام لماما ، لكن رورو ده علشان هي عسل وسكر ولازم تدلع

قطب إيهاب حاجبيه مصطنعا الحدة و الغضب:

ـ ولد إتأدب، إيه عسل و سكر دي، إنت هتعاكسها و أنا موجود و إلا إيه، مش كفايه سايبكم تقولوا رورو و تدلعوها.

ليشترك أخيرا بالحديث رامين الذي كان و كأنه بعالم آخر:

ـلا يا سيادة المستشار كله إلا رورو، و إحنا، نقول عسل و سكر و قشطه براحتنا ، دي أمنا ولينا فيها زي حضرتك بالضبط.

إيهاب معترضا:

ـلا يا حبيبي منك ليه إنت و هو، بكره يكون عندكم زوجات و انتوا حريين فيهم، لكن رغد دي بتاعتي أنا و بس، و بعدين يا دكتور يعني ساكت من الصبح و لما تتكلم وتشاركنا تعارضني، لما أشوف بعد ماتتجوز هتعمل إيه مع مراتك.

و هنا و جدت رغد فرصتها للحديث عن أمر زواجه من هبة:

ـ كويس أوي إنك فتحت موضوع الجواز ده بنفسك... رامين عاوزك تطلب له إيد هبة، إيه رأيك ؟

لم يتعجب إيهاب من حديث زوجته فقد شعر البارحة بعدم وجودها بالفراش و توقع جلوسها مع نجلها الأكبر القريب من قلبها لهدوءه و لكنه لا يعلم هل هي رغبته أم هي من أقنعته فوجه

الحديث له متسائلاً:

ـ إنت طلبت الطلب ده على أساس إيه يارامين ؟ إنت لسه حتى ماتكلمتش معاها!!.

رامين بهدوء و رزانة كعادته و بمنتهى الرجولة:

ـ وهو ينفع أتكلم معاها من غير رضا أهلها بعد ما دخلت بينهم و أنا ابن المستشار إيهاب واللي قالها إمبارح إنه عمها... أنا طلبت اتقدم بشكل رسمي، ووقتها لينا حق الرؤيه الشرعية.

حالة من الفخر و الفرحة غمرت كلا من إيهاب ورغد فقد جنيا ثمرة كفاحهما و تربيتهما وأخرجا للمجتمع رجلا صالحا يحترم دينه و تقاليد مجتمعه الشرقي.

نظرا لبعضهما برضاء تام و قال إيهاب:

ـ أنا موافق طبعا ياحبيبي، لكن شايف إن الوقت مش مناسب، هما حاليا في حالة حداد ومايصحش أفاتحهم في أمور زواج.

وافقه الرأي و كذلك زوجته وأخيه وقرروا الانتظار حتى تنتهي أيام الحداد.

خرج كل منهم متجها لعمله وقامت رغد بإنهاء أعمال منزلها ثم ذهبت إلى منزل عائلة إبراهيم.

❖ ❖ ❖

أما بمنزل الشيخ محمود فقد أعدت زوجته الطعام، و جهزت نفسها للذهاب لمنزل عائلة سما ومواجهتهم وليحدث مايحدث،

لـم تبالـي إن رفض زوجهـا تناول الطعـام معها و ابنهـا على نفس المائدة وتناوله بمفرده داخل الغرفة التي خصصها لنفسه، انتهت مـن طعامهـا وإطعام فلذة كبدهـا و ارتدت الملابس السـوداء و ذهبت لتقديم واجب العزاء.

وصلـت إلى منزل إبراهيـم الخولي بناءاً علـى العنوان المدون معهـا بتلـك الورقه فقـد رفضت اصطحـاب نجلهـا معها كـي لا يصيبـه مكروة، طرقـت باب المنزل و انتظـرت الإجابه دقيقتان حتـى فتح باب المنزل ووجدت أمامها سـيدة يظهر عليها الرقي و حسـن المظهر، ترددت ثواني تحاول توقع من تكون هذه السيدة إلى أن نبهتها رغد بحديثها:

ـ اتفضلي يا مدام مش حضرتك جاية تعزي، هبة جوه.

ثـم أشـارت لها بالدخول لغرفة الاسـتقبال، حتـى تنتهي هبة من اسـتحمامها، فلم تسـتطع ترك أختها وحدها إلى أن حضرت رغد، فوالدها و أخيها ذهبا لعملهما و تركاها مع سما بمفردها وارتعبت أن تتركها وحدها فتؤذي نفسها بشيء.

استأذنت رغد من السيدة الجالسة التي لا تعلم من تكون، حتى تخبر هبة بمجيئها فوجدتها قد انتهت و ارتدت ثيابها:

ـهبة حبيبتي في و احده بره جاية تعزي.

ـ ميـن دي يـا طنـط ؟احنـا جيرانـنـا و معارفنا كلهـم عزونا إمبارح.

ـ طيب تعالي نشوف هي مين؟.

ذهبا معا حيث غرفة الاستقبال و عندما دلفت هبة ظلت تنظر

إلـى السـيدة الجالسـة و لكنها لـم تتعرف عليها ، حتى السـيدة نفسـها قامت بتقديم واجب العزاء و جلسـت صامتة منتظرة كي تعلـم مـن هذه الفتاة و المرأة التي تلتصق بها ، إلى أن قطعت رغد الصمت متسائلة :

ـ هو حضرتك من معارف المرحومه و إلا قريبتها ؟.

نظرت لها سعاد وبعد تفكير وجهت حديثها لهبة :

ـهو انتي سما؟.

أجابتها :

ـ لا أنا أختها الكبيره هبة.

ثم نظرت لرغد :

ـ وحضرتك قريبتهم و إلا إيه ، أصل الموضوع اللي هاتكلم فيه عائلي شويه.

نظرت لها هبة و يدها تتمسك بيد رغد :

ـ أيوة طبعا ، دي أمي الثانية ، ممكن نعرف مين حضرتك ؟.

أجابت سعاد :

ـ أنا أم مراد.

تساءلت رغد :

ـ أيوة مراد مين ؟صاحب محمد يعني.

ـ لا أنا معرفش مين محمد.... بس أعرف سما.

هبة و قد زاد غضبها :

ـ تعرفـي سـما منيـن؟ و مين مـراد ده؟ أختـى ماتعرفش حد

بالاسم ده.

حاولت سعاد تهدئتها:

ـ اسمعيني يا حبيبتي و انتي يا مدام انتي أكيد أم، أنا ابني غلط و لكن و الله ندمان و عمل كده وهو مش في و عيه.

احتدت ملامح كلا من رغد وهبة حينما فهما من هي تلك السيدة و أجابتها رغد صارخة:

ـ انتي عاوزة تقولي إنك أم الحيوان اللي عمل كده في البنت، و جايه هنا برجليكي يا جبروتك يا شيخه، انتي إيه ؟!! و تقوليلي أم، أم إيه اللي ممكن تقبل كده، انتي المفروض كنتي قدمتيه للمحاكمه بنفسك.... انتي يا ست انتي إزاي ليكي عين تتكلمي ؟!! مش ده تربيتك يعني انتي اللي دمرتي العيله دي وبتتكلمي كمان، أمها اللي انتي جاية تعزي فيها بدم بارد دي ماتت من قهرتها على بنتها و هي شيفاها قدامها بتنزف وخسرت شرفها، انتي ازاي كده !!!!!

سعاد ودموعها تنهمر:

ـ أنا عارفه إنه غلطان، و الله انتوا متعرفوش و الده عمل إيه فيه ؟، ده طردوا من البيت و فضل عايش في الشارع الكام اليوم اللي فاتوا، بالله عليكي يا مدام هدي النفوس، واضح إنهم بيحبوكي خليكي وسطة خير بينا، أنا هعملكم اللي انتوا عاوزينه بس ماتحرمونيش من ابني، ده وحيدي بعد عشر سنين جواز قضيتهم وأنا بسعى على الخلفه، احنا صعايده واللي مابتخلفش الحريم بيعيروها، وانا ابني ده متعلم و لا هو بلطجي

ولا وحش والله العظيم ده متعلم و تعليم عالي و حافظ كتاب الله، لولا أصحاب السوء بعد ما خرج من الجامعه اتلموا عليه علشان نفسيته اتدمرت لما ابن العميد خد مكانه وبعد كده اشتغل سواق ولما ماهنش عليا بعت حتة من أرضي وجيبتله عربيه ميكروباص ويارتني ماجبتها حاوطوه وجروه لطريق الكيف والتعاطي لحد ما أبوه اكتشف و عالجه و حلف مايعملش كدا تاني و في اليوم المشؤوم ده كان متضايق وصاحبه عطاه برشامه ووقت ما فاق رجع البيت حبس نفسه وفضل يبكي ويسجد لربنا يستغفره ولما أبوه عرف و الله العظيم طرده و قاله روح اتجوزها وهو كلم والدها لكن ماعرفش يوصله.

كانت تتحدث وهي تزداد في بكائها وتعاطفت معها رغد فهي مهما كانت أم و لكنها ترفض رفضا تاما فكرة زواجهما و أثناء حديث سعاد وصل إبراهيم للمنزل و استمع لطلبها بزواج ابنها من ابنته و هذا هو كل مايسعى إليه أن يجد من يستر على ابنته و كأنها من ارتكبت الجريمة، دق باب غرفة الاستقبال مستأذنا بالدخول فهو يجب أن ينهي الأمر قبل تدخل و لده محمد ف دلف إلى الداخل محدثا السيدة سعاد:

ـ فين ابنك وجوزك ياست علشان نتفق اتفاق رجاله مش هحط إيدي في إيد ست.

تهللت أسارير سعاد وكأنها وجدت طوق النجاة فأجابته:

ـ اجيبهملك حالا ياحاج....لكن اديني الأمان و إنك متقربش من ابني و حياة و لادك.

رد إبراهيم بعد أن أذهل بكلماته كلا من رغد و هبة:

ـ أنا عاوز استر بنتي واحمي ابني من السجن لأنه لو شاف ابنك هيقتله، لكن لو شاف جوز أخته مش هيقرب منه قدامك ساعة زمن يكون جوزك و ابنك و المأذون موجودين نكتب الكتاب وبعدها يحلها ربنا.

ردت سعاد وقد غمرتها الفرحه:

ـ كل اللي تؤمر بيه هعمله علشانها هخرجها من بيتك عروسه و هجيبلها أجمل جهاز و هعملها حفلة خطوبه كل اللي تؤمر بيه هيتنفذ.

و أمسكت بهاتفها الجوال و بدأت بالضغط على أزراره حتى أتاها صوت زوجها:

ـ السلام عليكم.

ـ و عليكم السلام ياشيخ محمود، هات مراد و تعالي عند بيت أهل سما و الدها عاوزك تجيب مأذون و ابنك و تيجي حالا يلا بسرعة يا محمود قبل أخوها مايرجع ويقتل مراد، ده مهما كان مراد ابنك ياخويا سندنا و ضهرنا.

ـ بردة نفذتي اللي في دماغك، اقفلي و أنا هجيلك أنا و ابنك، وحاضر هاجيب مأذون معايا.

تجمدت رغد من شدة صدمتها و لم تعرف كيف تتصرف حتى تنقذ سما من قرارات و الدها المتسرعة ولم تجد غير زوجها تلجأ له فهاتفته مسرعه:

ـ إيهاب تعال بسرعه أستاذ إبراهيم هيجوز سما للشاب اللي

اغتصبها.

ذهل إيهاب هو الآخر: وده وصله ازاي يا رغد.

ردت رغد:

ـ أم الشـاب جات هنا و طلبت ايد سـما ، تعالي يا إيهاب ولما توصل هتعرف كل حاجه أنا مش عارفه اتصرف.

ـ رغـد اهـدي وماتتدخليـش، وده مهمـا كان و الدها ، وهـو أدرى بمصلحتهـا ، و إحنا علينـا النصيحه و هو و رغبته قبلها مننا وإلا لا.

رغد و قد انتابها حالة من الغضب:

ـ إزاي الكلام ده يعني يدمر البنت إيهاب تعالى أرجوك، على الأقل اضمنلنا حقوق البنت الغلبانه دي، ده عاوز يكتب الكتاب حالا قبل ما محمد يوصل.

ـ حاضـر يـا حبيبتـي أنـا جاي حـالا أغلـق إيهاب مـع زوجته الهاتف و قرر أن يحادث محمد و ألا يخبرة بشيء و أن يتقابل معه ويذهبا معا حتى يسـيطرعلى ردة فعلـة... و أجابه محمد و تقابلا دون أن يعلم أي شيء.

و في تلك الأثناء.....

حضـر إلـى منـزل إبراهيـم الخولي كلا مـن مـراد ووالده و المـأذون ولم تمر سـوى دقائـق معدودة وكانت نظـرات إبراهيم لهمـا لا تنبئ بالخير رافق ذلك وصول إيهاب بصحبة محمد و هنا تحولـت نظرات إبراهيم لنظرات زائغه مشـتته مرتعبه خوفا مما سيحدث داعيا اللّه أن يمر هذا اللقاء بأقل الخسائر، دلف محمد

وتقدم الجالسين وقد صدم مما رأى فهو لايعلم مايفعله والده فوجه حديثه له متسائلا:

ـ بابا هو إيه اللي بيحصل هنا.

رد إبراهيم متصنعا القوة فهو يخاف فقدان ولده:

ـ ما فيش حاجه يا محمد ده جوز أختك سما ، أهو تعالى باركله.

محمد بهدوء غير متوقع ولكنه الهدوء السابق للعاصفة تقدم من الجالسين وصافحهم حتى وصل لمراد و تلامست يده بيده فأمسك بها و رفع قبضته الأخرى ليلكمه بأنف، ففقد وعيه كانت ضربات محمد ضربات مدروسة تعلم أين تتوجه فمحمد كان بطلا من أبطال رياضة الكنغوفو و يعلم مواضع الضربات المفقدة للوعي، و أسرع إيهاب ليكبله من الخلف، بينما ألقت سعاد بجسدها فوق جسد ولدها لتحميه، أما محمود فجلس يشاهد مايحدث و لم يهتز له جفن، فهو يريد أن يتلقى و لده جزاء عمله، أما إبراهيم فاستجمع شجاعته وصاح بولده:

ـ محمد كفاية أنا قولت كلمتي للناس و إديتهم الأمان، و إنت بتمد إيدك على الراجل في بيتنا ، ده هيكون جوز أختك و هيآخد لحمنا.

وقعت كلماته على مسامع الجميع كالصاعقة فلقد أصدر قراره وعليهم الآن تقبله تبادل الجميع النظرات فيما بينهم، بينما التقطت والده مراد أنفاسها بعد أن استعاد ابنها وعيه بعد تلك اللكمة التي نالته من محمد ولكنه لم و لن يبدي أي رد فعل،

فقـد أعطـى له كل الحق، اقتربت رغد من زوجها تحثه أن يفعل مايستطيع أن ينقذ به تلك البريئة الراقدة لا تعي ما يحدث خارج جدران غرفتها و دون علمها فتحدث إيهاب:

لو سمحتم يا جماعه إحنا كلنا محتاجين نهدا ونتكلم شويه بهدوء.

بدأ محمد الحديث غاضبا:

ـ حضرتـك سـامع بابـا بيقـول إيـه.... و الـدي أخـد القرار و بيجبرنا ننفذه.

ثم و جهه نظرة للمأذون متسائلا:

ـهـو ينفع يـا شـيخنا الوالد يجوز بنتـه و هـي ماتعرفش إنها هتتجوز و لا حتى موافقه.

وقبـل أن يجيبـه الرجـل حدث مـا لم يتوقعـه أيا منهـم نظروا جميعـا إلى ذلـك الصوت المنخفـض ولكنه يحمـل كثيرا من الحزم و الجبروت:

ـ مين اللي مش موافقه هو كان حد سألني.

ثم نظرت باتجاه المأذون قائله:

ـ أنا سما إبراهيم الخولي وموافقه اتجوزه يا عمي الشيخ.

❖ ❖ ❖

الفصل التاسع

أسـرع اليها كلا من رغد و هبة ممسـكتان بها قبل أن توقع بنفسـها في هذا المـأزق، فأكملت حديثها وهـي تنفض يداهم عنها

ـ أنا قولت موافقه لكن ليا شروط.

وهنا أجابها محمود:

ـو أنا يابنتي و الد مراد ومسؤول أنفذلك شروطك على رقبتي.

قـال حديثه هذا وهو ينظـر لزوجته وولده نظرة يفهماها جيدا بمعني إن لم تنفذا ما سـتقول سـأجعلها خراب عليكم فأشـاحا بصرهما خافضي رأسيهما أرضا.

فاقتـرب إيهـاب من سـما ماددا لهـا يده كي يسـاعدها على التقدم و الجلوس لكي تملي شـروطها آخذا وعدا على نفسـه أن يضمن لها تنفيذها.

اسـتجابت له سما و تمسكت بيداه وكأنهما طوق نجاتها، و كل هذا تحت نظرات و الدها الذي شـعر بوخزه في صدرة بعد أن خذلها و لم يكن لها السـند الحق... وصلت إلى أحد المقاعد القريبه وجلسـت وهي ما زالت متمسـكه بيد إيهاب تسـتمد منه قوتها، ناظـرة لوالدهـا بقهر و أسـى فحاول إيهـاب إنهاء الموقف ورفع الحرج عن الجميع فهو يعلم جيدا بداخله سبب قرار إبراهيم ويعطيـه بعض الحق فهو بالنهاية أب ويعنيـه مصالح أبناءه جميعا

وليس أحدهم على حساب الآخر فتحدث قائلا:

ـ اهدي ياسما يابنتي، و إنت يامحمد تعالى اقعد، و خلينا نسمع طلبات سما و نتناقش بهدوء.

استجاب الجميع لكلمات إيهاب و جلسوا مترقبين حديث سما و شروطها، تنهدت سما و لم تجعلهم ينتظروا كثيرا، و لكنها أدهشتهم بقوتها وجبروتها... و جعلتهم يتساءلون أيعقل أن هذه هي سما الهادئة الرقيقه والتي تحدثت و هي تستجمع قوتها الواهيه:

ـ أنا هوافق على الجواز على ورق، لكن مش هيلمسني و لا يقرب مني.

إيهاب مستفسرا:

ـ يعني هيكون عقد قران بس.

ردت:

ـ أيوا.. و هكمل تعليمي و هو مش هيعارض و لا يطالبني في أي يوم بأي حق من حقوقه.

سعاد معترضه:

ـ و ده يبقى اسمه جواز ده، وبعدين إحنا لازم نعمل فرح و تخرجي من بيت أهلك على بيت عريسك.

ألقت بكلماتها المبطنة بكثير من المعاني و التي تفهمها الجميع ماعدا سما و هبة.

فأجابتها رغد بغل من هذه السيده و تلميحاتها:

ـ معلش يا مدام أصل سما عيله و اتاخذت على خوانه، و متعرفش يعني إيه الكلام ده، فأنا هستأذنكم اتكلم معاها جوه أنا و أختها و نرجعلكم.

ثم قامت و أمسكت بيدي سما و كأنها طفلتها وباليد الأخرى ساندتها، فسما حتى و إن أظهرت قوتها فهي مازالت ضعيفة البنيه، هزيلة الجسد، ولحقتهم هبة التي ما أن أغلقت باب الغرفة الخاصة بهما حتى عنفت أختها:

ـ انتي مجنونه إزاي توافقي على الحيوان ده هو و أمه الحربايه اللي بره دي.

حاولت رغد تهدئتها:

ـ إهدي يا هبه، سما اتصرفت صح لإن و الدك كان واخد قراره وهينفذه بأي شكل، وهي بتصرفها ده على الأقل هتتضمن إنها تتعامل زي ماهي عاوزة، ده غير إني مطمئنه لوالده واضح إنه راجل محترم ورافض تصرفات ابنه و زوجته وهيساند أختك.

كانت نظرات سما لرغد يملؤها الامتنان فهي تفهمت و جهة نظرها و أوصلتها لأختها دون أن تبذل مجهود، فهي تحتاج الباقي من قوتها للمواجهة بالخارج و ليس مع شقيقتها التي تثق بأن ماتفعله ماهو إلا خوفا عليها.

وجهت رغد حديثها لسما بعد أن جلست جوارها مربتة على يدها:

ـ اسمعيني حبيبتي إنت مش هينفع تتجوزي على الورق، لإن المفروض إن إحنا بنعمل كل ده علشان الحادثه

اللـي حصلتلك، وإنـك حاليا مش بنوته، وعلشـان ده يحصل لازم تكوني عملتي فرح و دخلتي بيت جوزك، علشـان الناس اللي في الأصل إحنا بنعمل كل ده علشان كلامهم يقتنعوا إنك اتجوزتي بشكل طبيعي.

و تفهمـت سـما حديث رغد الهـادىء و بالرغـم من تذكرها لمـا حـدث لها فذلـك زادها قوة وإصـرار على الانتقـام من ذلك الشخص الذي تسبب في تخريب حياتها فأجابتها:

ـ حاضر ياطنط أنا فهمت حضرتك و تعالي نخرج و هتسمعوا بقية قراراتي معاهم.

خرجوا جميعا لمن ينتظروهم بالخارج و أكملت سما حديثها:

ـ أنا فهمت اللي الحاجه قالته، و دلوقتي موافقه بس مايهمنيش الفرح و لا البيت و لا أي حاجه المهم إني مش هعيش معاه في بيت لوحدي.

ردت سعاد:

ـ لا يا حبيبتي انتوا هتتجوزا معانا أنا شقتي كبيرة، هجيبلكم موبيليا جديده سفرة ونوم وصالون و هجددلك كل حاجه.

سما و قد نفذ صبرها من تلك السيدة:

هـو حضرتك مـش فهماني أنا عـاوزة أعيش فـي بيتكم في أوضه لوحدي، ماحدش هيشاركني فيها.

وقبل أن تجيب سـعاد أجابها محمود و قطع على زوجته طريق الاعتراض:

ـ و أنا موافق يابنتي أنا هعملك أوضه خاصة بيكي وهتكملي

تعليمك، مراد هيعيش معانا لكن مالهوش دخل في حياتك نهائي و أنا هاكون زي و الدك، طلباتك كلها و مصاريف تعليمك مني أنا، وده وعدي ليكي إن مش هيكون زوج ليكي غير على الورق أو إنك انتي اللي ترضي وتوافقي بالحياه الزوجيه الكامله معاه.

لم يعترض مراد على حديث و الده أو سما بعد أن رأى تلك الملاك، و تذكر ما فعله بها و لكنه أخذ عهدا على نفسه أن يتغير و يبحث عن عمل مناسب لتعليمه ويقترب منها، فالأيام بينهما وسيجعلها تنسى له فعلته وتسامحه، تمنى لو كان رآها دون أن يفعل بها ما فعل، فجمالها هادىء رقيق تجذبك من الوهلة الأولى.

اطمئن الجميع لكلمات هذا الرجل الفاضل وتمنوا أن يستطيع تنفيذه، كما انصاع إبراهيم لرغبة ابنته، أما سعاد يكاد الغيظ يقتلها، فكم تمنت لابنها حياة هادئة مع هذه السما بعد أن رأت جمالها، و لن تيأس و ستحاول أن تقرب العلاقات بينهما لعل و عسى أن ترى أبنائهما عما قريب، وأكملت قبل أن يضعها زوجها بمأزق جديد:

ـ طيب مش يلا يا جماعه نكتب الكتاب، عم الشيخ متعطل معانا من بدري، ده لولا إنه مربي مراد ما كانش قعد كل ده.

فأجابها المأذون:

ـ كان المهم الاتفاق يأم مراد وموافقة الزوجة قبل أي شيء.

ردت بسرور:

ـ و كله تمام ياعم الشيخ والعروسه موافقه أهي قدامك يلا بقى اكتب الكتاب وعلى الجواب.

تمت إجراءات الزواج بهدوء غير متوقع و انتهى كل شىء سريعا و اصبحت سما زوجة لمراد و لكنها حسمت الأمر حينما هبت واقفة رافعة رأسها بشموخ:

ـ أنا حاليا نفذت كل طلباتكم.. لكن أنا مش هتنقل من بيت أهلي غير بعد ما أخلص الثانويه العامه و نتيجتي تظهر و ده قراري و مش هتنازل عنه.

وهنا تحدث ذلك الذي طال صمته حتى ظنه الحضور أبكم و نطق مراد مشيرا لوالدته ألا تتحدث:

ـو أنا معنديش مانع، خليكي هنا و كل طلباتك أوامر و أنا هجهز البيت عند و الدي لاستقبالك وبعد إذن عمي إبراهيم والأستاذ محمد أنا هاحجز قاعه للفرح.

لو كانت النظرات تحرق لأحرقته نظرات الاحتقار من الحاضرين بما بينهم والده، أما و الدته فاتسعت ابتساماتها فسيظفر ولدها بحياته و هذا كل ماتمنته.

❖ ❖ ❖

مرت الأيام و لم تترك رغد الفتاتين بل لازمت سما و حثت هبة على معاودة الدراسة و تعويض مافاتها من محاضرات عمليه ونظريه.

تقربت العائلتان من بعضهما و تبادلا الزيارات بينهم، و في تلك المرات القليله ينتهز رامين الفرصة كي يحادث هبة، حتى

وإن كان حديثا عاما ، ولكنه كان يرضيه و يرضي لوعة قلبه فكلما تقربا و تعرفا على بعضهما أكثر ازداد بها عشقا.. إلي أن شعر به و الده وقرر أن يحسم الأمر مع عائلة هبه ، و يتأكد من رغبتها هي الأخرى في الارتباط بنجله ويحادثها بمفردها حتى لا يفرض عليها و الدها هذه الزيجه كنوع من رد الجميل لما فعله معهم.

اليوم هو الأصعب على الإطلاق فسما بانتظار إعلان نتيجة الثانوية العام، بعد عناء دام لأشهر من الاستذكار والمراجعات و كذلك انتظار يومها الموعود الذي حدد به العرس و الانتقال لمنزل عائلة الشيخ محمود منزل زوجها المزعوم.

وصل إيهاب ورغد إلى منزل عائلة إبراهيم حتى يكونا برفقة سما بهذه اللحظات الصعبه استقبلهم الجميع بفرحة وحب و مودة ، فهذان الزوجان قدما لهم الكثير و ساندوهم ، و كأنهم من دم واحد.

رفع آذان المغرب واستأذن إبراهيم من الحاضرين للتوضأ و الصلاة جماعه مع إيهاب وبهذه اللحظات و أثناء انشغال رغد وسما بمعرفة النتيجه ، طلب إيهاب من هبة الجلوس بالمقعد المجاور حتى يحادثها و أجابته مطلبه:

ـ خير ياعمي إيهاب في حاجه.

رد إيهاب:

ـ هبة أنا عاوز أسألك على حاجه ، و محتاج منك إجابه صريحه قبل ما اتكلم مع و الدك في أي شيء.

هبة بفزع:

ـ في حاجه حصلت ياعمي أنا غلطت في حاجه.

إيهاب مطمئنا لها:

ـ لا يابنتي لاسمح الله.. كل الحكاية إن رامين ابني طالب الزواج منك، و أنا حابب أعرف رأيك بمنتهى الصراحه، وماحبتش أسيب رغد هي اللي تفاتحك في الموضوع، علشان عاوز أعرف إن كنتى موافقه من جواكي و عن قناعه وإلا ده لمجرد إن علاقتنا تفضل مستمره أو تكوني متخيله إن برفضك ممكن يحصل اختلاف.

خجلت هبة من حديثه كثيرا وبدأت بفرك أصابع يدها من شده توترها، فبماذا تجبيه ؟ أتعترف أنها و قعت أسيرة عيني ولده، أم تخبره باحتلال ولده لروحها بحديثة الراقي الواعي معها.

(تكلمي هبة، إعجابك سيذهب هباء)

ظلت تحث نفسها على التحدث ولكن الكلمات أبت الخروج من شدة خجلها و إنما ابتسامه رقيقه عبرت عما بداخلها حينما تذكرت حديثه معها و شرحه المبسط لها لغحدى المواد الدراسيه في آخر زيارة لهم، عندما علم أنها ستستعين بزميلها فتآكلته الغيرة على فتاته و عرض خدماته.

تفهم ايهاب صمتها و ابتسامتها ورفع عنها الحرج قائلا:

ـ نقول مبروك وهكلم والدك بعد الصلاة وتكون نتيجة سما ظهرت.

ازداد خجلها و انصرفت مسرعة بينما ظهرت ابتسامة رغد الجالسه، فلم يخفى عنها الحديث الدائر بينهما فتابعت المشهد من بعيد باستمتاع، فهي كانت على يقين من مبادلة هبة لولدها رامين مشاعرة.

دقائق ليست بكثيره و أصبحت الفرحه فرحتان حين ظهرت قوائم نتيجة الثانوية العامه وعلم الجميع بنجاح سما و مجموع درجاتها الغير متوقع بعد كل ما مرت به من محن.

نظرت رغد لسما بفخر و فرحه نابعة من القلب و كأنها ابنتها التي أنجبتها فما كان من سما إلا أن ألقت بجسدها بين ذراعي رغد مقبلة وبادلتها رغد الحضن بمشاعر أمومه حقيقيه ففرحتها الآن توازي فرحتها بنجاح أبنائها بل زاد عليهم فخرها بتفوق سما رغم كل العقبات التي مرت بحياتها.

أما سما و التي تدين لهذه السيدة العظيمه وزوجها بالفضل الأكبر بنجاحها و استكمال دراستها فرغد منحتها الكثير من و قتها ووقت بيتها وزوجها و أبنائها، ولم يعترض أيا منهم بل كان الجميع يساندها و يقدم لها يد المساعده بالدراسة و الاستذكار، و ليست فقط هي بل كان دائما مايساعد ولدها الأكبر رامين أختها هبة بدراستها للكيمياء العضوية.

ظلت سما بحضن رغد حتى خرج والدها بعد أن أنهى وضوئه، وحينما رأى هذا المشهد المؤثر تذكركم تمنت زوجته أن ترى ابنتها وسعادتها بنجاحها وتضمها إلى صدرها، واغروقت عيناه بالدموع، ولكن إيهاب كعادته احتوى الموقف وجذب انتباهه بحديثه عن الصلاة:

ـ اتوضيت ياحاج إبراهيم، يلا بينا نصلي علشان بعدها في موضوع عاوز أكلمك فيه.

رد إبراهيم و هو يخفض رأسه علـه يخفي آثار هذه الدمعة الخائنة المنهمرة من عينيه:

ـ أيوة الحمد لله اتوضيت يلا ندخل نصلي جوه.

وأشار لإيهاب بيده لإحدى غرف المنزل، أنهى الاثنان صلاتهما ليبدأ ايهاب حديثه وهما جالسين أرضا على سجادة الصلاة:

ـ حرما.

ـ جمعا إن شاء الله.. تعالى نقوم نقعد و طمني إيه الموضوع اللي عاوزني فيه.

ربت إيهاب على يده بألا يقوم و يستمرا جالسين كما هما بالأرضيه على سجادة الصلاة:

ـ اطمن ده موضوع خير بإذن الله و فرحه كبيرة لو إنت وافقتني.

ـ يارب فرح قلوبنا جميعا وعوضنا عن كل اللي شوفناه ومرينا بيه.

ـ اللهم آمين... شوف يا سيدي أنا طالب القرب منك في بنتك هبة لابني رامين.

تهلل و جه إبراهيم قائلا:

غالي و الطلب رخيص ده أنا أوصلهالك لحد بيتك.

ـ تعيش يابو محمد.. وأنا بكلامك ده تزيد غلاوتها وأنا

بنفسي اضمنلك ابني و لو في يوم زعلها لاقدر الله حقها عندى أنا ، و تسألني أنا في أي تقصير منه ليها.

ـ البنت بنتكم و ابنك ابني و أنا شوفته و عرفته ، الدكتور رامين راجل وزينة الشباب.

ـ و هبه بنتي ست البنات.. خلاص على خيرة الله ، إحنا نخرج نفرحهم و بكره بأمر الله أنا هجيب رامين و رايان و نيجي نقرا الفاتحه و نحدد حفلة الخطوبه و إن شاء الله تكون قبل فرح سما.

قال إبراهيم بحزن:

- فكرتني بفرح سما ليه بس... و الله أنا شايل همها و خايف عليها و خصوصا من الست أمه دي.

إيهاب مطمئنا له:

ـ لا متقلقش الشيخ محمود راجل محترم و الولد شكله ندمان فعلا و عاوز يبدأ معاها حياه جديدة و أنا سألت عليهم و عرفت إن مراد غير حياته عن الفتره اللي فاتت و استقام و بقى من شغله للمسجد أو البيت.

ـ الله يطمنك ، دايما بتعمل اللي أنا مش بقدر عليه و لا بفكر فيه ، ربنا يديم المعروف بينا.

إيهاب وقد وقف كي يخرج:

ـ يا رب.. يالابينا نقعد معاهم و نعرف سما ناوية تقدم على كلية إيه؟؟

خرج الاثنان بعد الصلاة و الاتفاق ليخبرا الجميع، فأخيرا

تزور الفرحة منزل إبراهيم الخولي بعد كل هذا الألم و الصعاب التـي حوصـر بها كل فرد من أفراد العائلـة بدأت رغد الحديث بعد أن و جدت علامات الرضا على وجه زوجها متسائله:

ـ إيه يا جماعه هو اللي بيدخل يصلي بيخرج وشه منور كدا و الفرحه ظاهره عليه ؟!.

زادت ابتسـامة إبراهيـم ناظـرا لإيهـاب الذي بادلة ابتسـامته مجيبا فضول زوجته:

ـ هو أكيد طبعا اللي بيصلي ربنا بينور قلبه ووشـه كمان، لكن بالنسـبه لموضوع الفرحه دا فـأنا هاريحك ياستي و أقولك سببه.

قاطعته رغد:

ـ أيوا أنا عاوزة اعرف سببه، مش أنا لوحدي أنا و سما و هبة يعني مش لوحدي اللي الفضول هيقتلني دا بناتي معايا كمان.

قهقهه إيهاب و إبراهيم على حديثها و أجابها إيهاب:

ـ وأنا هارضي فضولكم، الموضوع إني طلبت من أبو محمد ايد بنتي هبة لابني رامين و هو مشـكورا و افق، و هنيجي بكرا ان شاء الله و نجيب و لادك الاتنين و نتفق و نقرا الفاتحه.

ومـا أن أنهـى كلماتـه حتـى صاحـت كل مـن رغـد و سـما وكأنهما بنفس العمر مصفقتين بأيديهم

محتضنتين لهبة التي كان الخجل يعصف بها ولكن فرحتها منعتها.

رغد بفرحة أم حقيقه لهبة:

ـ مبروك ياهوبا ، ألف مبروك يا حبيبتي سما.

أما سما كانت تطير من السعادة بفرحة حقيقية تطرق قلبها لارتباط اختها فهي الأخرى كانت تعلم مايدور بقلب هبة و قالت:

ـ مبروك ياهوبا ، ألف مبروك ياحبيبتي والدكتور رامين محترم و ذوق وله فضل كبير جدا عليا في نجاحي و لولاه أنا مكنتش قدرت أجمع اللي فاتني و لا أجيب ٩٩٪ ، دا رقم أكبر من توقعي.

انتبه كلا من إبراهيم و إيهاب إلى مجموع سما و الذي هو بالفعل كبير و يؤهلها للإلتحاق بكلية الطب أو الهندسة فحدثها إيهاب متسائلا:

ـ وانتي قررتي تقدمي في كلية إيه ياسما.

ـ أنا قررت أدخل كلية حقوق.

❖ ❖ ❖

الفصل العاشر

رفع إبراهيم حاجبيه و فغر فاه و قد صدم من حديث ابنته فدائما ما كان حلمها الإلتحاق بكلية الطب:

ـ لكن دا مكنش حلمك و لاوعدك ليا ياسما ،طول عمرك تقوليلي أنا هاكون دكتورة يا بابا وأشرفك واكتب اسمك على يافطة كبيرة فوق عيادتي و إلا نسيتي كلامك ؟.

سما و قد اختنقت نبرة صوتها و احتل القهر قلبها :

ـده كان زمان يا بابا كنت نفسي أكون دكتورة ، لكن دلوقتي أنا نفسي أكون محامية و أقدر أوجد ثغرات في القانون تنصر المظلوم، و لو على و عدي ليك إني أكون دكتورة فأنا مازلت مصرة آخد دكتوراة في القانون و أكون أكبر و أشهر محامية في البلد.

شعر الجميع بحزنها و أن ماحدث لها أثر على قراراتها و أحلامها ،فحاولت رغد تهدئة الأجواء و تغيير مسار الحديث:

ـ يعني هيكون عندنا سيادة المستشار و الدكتورة في القانون و ثم أضافت بمزح و تخيلوا كمان لو سما و قفت في المحكمه تترافع في قضيه و إيهاب هو القاضي في نفس القضيه، إيهاب هيدي المتهم براءه علشان خاطر سما.

عادت الأسرة لمرحها ولم يعارض إيهاب زوجته و إنما شاركها حديثها حتى يستطيعوا إخراج الجميع من شعور الظلم و القهر

الذي عاشته سما بتجربتها المريرة قائلا:

ـ ايوة طبعا هاعمل كده و هادور أنا على ثغرة، مانا لو قولتلها لا، و المتهم اتحكم عليه ممكن تعيط و أنا مقدرش أشوف حد من بناتي في عيونه نظرة حزن.

ثم نظر لسما نظرة ذات مغذى و كأنة يطالبها ألا تحزن و يأكد لها دعمه و مساندتة لها و تفهمت سما نظراته جيدا كما سعدت بها.

أما رغد بعد أن و جدت هبة تأثرت على حال أختها، و قررت إسعادها و معاودة الحديث عن الزفاف المنتظر قائله:

ـ و انتي ياست هبة مافيش و قت للزعل و إحنا ورانا حاجات كتير، لازم نستأذن أنا وإيهاب دلوقتي علشان انتوا ترتاحوا و بكره الصبح من بدري همر عليكم و ننزل نشتري شوية حاجات، ده بعد إذن بابا طبعا.

وقبل أن تكمل رغد حديثها ارتفعت أصوات رنين هاتف المنزل معلنا اتصال، أمسك إبراهيم بسماعة الهاتف مجيبا:

ـ سلام عليكم.

الطرف الآخر:

ـ وعليكم السلام يا أستاذ إبراهيم.. أنا سعاد أم مراد.

قطب إبراهيم حاجبيه زافرا أنفاسه، فاتصالها كان آخر مايتمناه الجميع:

ـ أهلا و سهلا ياست أم مراد.

ـ أهلا بحضرتك، أنا آسفه على ازعاجك بس عرفت من

التليفزيـون إن نتيجـة الثانويـة العامه ظهرت وقولـت اتطمن على سما حبيبتي.

إبراهيم بفخر:

ـ الحمد للّه نجحت بتفوق كمان.

سعاد بفرحة:

ـ اللّه أكبر اللّه أكبر ألف ألف مبروووك.

اسـتمع إبراهيم لمن يحادثها بإلحاح بصوت ضعيف متسـائلا عن مجموعها و علم جيدا أنه مراد.

ـهي جابت كام مجموع يا أستاذ إبراهيم؟.

ـ جابت تسعه و تسعين في المائة، بنتي متفوقه و تقدر تقف على رجلها، و ده من فضل ربنا عليها.

سعاد بأسف:

ـ الحمـد للّه يـا أسـتاذ إبراهيم، وربنـا يجعل أيامهـا الجايه كلهـا فـرح، هو ممكن آجي بكرة أزوركـم و أباركلها أنا و الشيخ محمود.

زاغـت نظرات إبراهيم و زادت حيرته كيف له أن يسـتقبلهم و يجـدد علـى ابنتـه أحزانها في حين سـترى فرحـة أختها بقراءة فاتحتهـا و الإتفـاق علـى الزواج بـدون أن تكـون مكرهه مثلها ولكنه حسم قرارة فغدا فرح و لن يعكس صفو بناته به.

فأعتذر منها:

ـ آسـف يا أم مراد اسـتأذنك نأجلها لبعد بكرة عندنا ميعاد مهم..

سعاد بخجل وإحراج:

ـطيب و ماله نيجي بعد بكرة إن شاء الله بعد صلاة المغرب هنكون عندكم.

ـ إن شاء الله يا أم مراد و اعذريني و الله بس الميعاد ماينفعش يتأجل.

ـ لا ياخويا مافيش حاجه إحنا بقينا أهل، سلام عليكم.

ـو عليكم السلام.

أغلق كلاهما السماعه و استعدا ليجيبا تلك النظرات المتسائله.....

فإبراهيم نظر أمامه ليجد علامات الحزن بايديه على وجه ابنته سما فأراد طمئنتها:

ـ الست أم مراد بتسأل سما عملت إيه لما عرفت من التليفزيون و كانت عاوزة تيجي بكرة تباركلها هي والشيخ محمود، لكن أنا أجلتها لبعد بكرة علشان تعرفوا تفرحوا و تاخدوا راحتكم.

فتحدثت رغد دون شعور لأنها لا تريد أن تحزن هبة وسما و لا ابنها بوجود أشخاص مجرد ظهورهم في المشهد سيعيد على الجميع ذكريات مؤلمه:

ـ و الله خير ماعملت مش عاوزين حاجه تزعلنا بكرة.

إيهاب و قد انتبه لحزن سما:

ـ رغد يلا بينا احنا إتأخرنا و لو الجماعه حابين يشاركونا فرحتنا مافيش مانع يا بو محمد.

أجابه ابراهيم:

ـ لا لا أنا مش حابب و جودهم.

ثم نظر لابنته فتفهم إيهاب سبب رفضه، انصرف إيهاب و رغد و تركا منزل إبراهيم الخولي عائدين إلى منزلهم.

أما سعاد فبعد أن أغلقت الهاتف و أجابت ابنها الجالس جوارها بما دار في حديثها مع إبراهيم نظرت لمراد متسائلة:

ـ ومجموعها ده يدخلها إيه ياترى.

ـ مش عارف!!، لكن أي كلية عاوزة تدخلها أنا مستعد اتكفل بكل طلباتها مهما كانت، ولو هاشتغل ليل نهار مش هحرمها من حلمها كفايه اللي عملته فيها.

سعاد و قد لاحظت مشاعر و لدها:

ـإنت حبيتها يا مراد و إلا صعبانه عليك من اللي عملته فيها.

مراد محاولا إخفاء مشاعرة:

ـ أنا كنت لحقت أعرفها علشان أحبها، أنا بس بخلص ضميري قدام ربنا، و بحاول أعوضها.

ـ ولو إن يا مراد اللي عملته مافيش حاجه تعوضة، لكن أنا بتمنى إن ربنا يهديها و يحنن قلبها وتقبل تعيش معاك حياه طبيبعية، مش زي ما اشترطت.

مراد بدون و عي لما يقوله:

ـ يارب يا أمى.

وهنا أدركت سعاد أن و لدها أصبح أسير غرام هذه الصغيره.

ـان شاء الله لما نروح أنا و أبوك عندهم هنتفق على ميعاد

الفرح، كل حاجتك جاهزة.

ـ بس يا أمي بالله عليكي شوفي ناقصها إيه و أنا هجيبه، حتى لو بالدين لكن بلاش تحمليهم فوق طاقتهم.

ـ متقلقيش يا حبيبي أنا هجيبلها كل حاجه و مش هخليك تحتاج لحد.

وبمنزل إيهاب رضوان عادا إليه ليتناهي لسمعهما صوت مرتفع و بتبينه وجداه خارج من غرفة رايان ابنها الأصغر، تقدمت رغد حتى وصلت إلى مصدر الصوت المرتفع لتنتبه أنه لرايان يتحدث بالهاتف و يعنف معشوقته وحب حياته و عمرة ابنة عمه التي عشقها منذ نعومة أظافرة و كتبت على اسمه من يوم أن جاءت للدنيا، و قفت رغد عند باب الغرفة بعد أن تأكدت أن ذلك الانفعال مثل كل يوم، فدائما ماينفعل عليها من شدة غيرته و يختصمان ثم يعاودان عشقهما من جديد، فقررت ألا تتدخل فيكفيها سعادتها الآن و سننتظر رامين حتى تخبرهليستعد لموعد الغد.

أما إيهاب انتظر زوجتة بغرفتهم و بعد أن بدل ملابسه لم يستطع مقاومة سلطان النوم وأغلق عيناه مستسلما له.

لحظات ليست بالكثيرة وخرج رايان من غرفته بعد أن أنهى محادثتة ليجد و الدته تعد و جبة العشاء و لم تنتبه له، فأراد مداعبتها مستغلا اندماجها بالتحضير و عد شعورها به ليأتي من وراءها صائحا:

ـ هاااااااااا

جفلت رغد :

ـ حرام عليك يارايان حد يخض أمه كده.

رايان مقهقها :

ـ اتخضيتي يارورو ياقمر ، كده برده دا أنا و حش أوي.

صفعته رغد بكفها الصغير على عضلة ذراعه القوية ، فادعى التألم ، ارتسمت على وجه رغد ملامح التعجب و الابتسامه لم تفارق شفتاها على أفعال ولدها ومداعباته المستمرة ، فهو روح هذا المنزل ومن يضفى عليه أجواء البهجة و السرور... ولكنها تذكرت محادثته التليفونيه وتعنيفة لابنة عمه روجين:

ـ تعالى هنا الأول قولي إنت مش هتحسن من أسلوبك مع روجين ، البنت هتزهق منك وتضايق.

ـ هي تستاهل اللي باعمله فيها ، مش هي اللي بتغلط ، خلاص تستحمل نتيجه غلطها..

ـ ياحبيبي حتى لو غلطت ، إنت المفروض تعرفها غلطها بهدوء مش تفضل تخانقها ليل نهار كده ، ده مش حب يابني ده ملل و بكره تكرهك و تدور على حد يعاملها كويس.

أثارت كلمات رغد غضب رايان من جديد عندما تخيل حبيبته مع رجل غيره:

ـ هي مين دي اللي تدور على غيري ، ده أنا اقتلها هو أنا يا أكون شاب توتو و أقبل إنها تتعاكس و تكلم زملائها الشباب يا تروح تدور على غيري ، لا يا أمي ، لا أنا هاكون كده ولا هي تقدر تكلم حد غيري ، روجين دي حبيبتي أنا وبس ، وغصب

عنهـا تقبـل بحبـي و غيرتي زي ماهي و تمشـي علـى دماغي مش العكس.

ضربت كف على كف متعجبه من أسلوب و لدها و مشاعره المتملكـة لمعشـوقته ولـم تتعجـب و حدهـا وترفـض طريقتـه بالتعبيـر عـن مشـاعره، إنما انضـم إليهـا و لدهـا الكبيـر هذا العاشق الولهان والذي استمع حين و صوله لحديث أخيه و تدخل بالحديث معترضا:

ـ اللـي إنـت بتقولـه ده تملك، الحب الحقيقـي ثقه في حبها ومشـاعرها ليك، قبل ماتثق في نفسـك وإنك تكفيها عن رجال الدنيا كلها.

ابتسـمت رغد و سـعد قلبها بحديث و لدها رامين فهو يشبه و الده كثيرا حتى مشاعره و طريقه تعبيرة عنها، أما رايان والذي لم يعجبه حديثهما فقرر تغير مجرى الحديث متسائلا:

ـ هو مفيش عشـا وإ لا إيه ياروروا، سـيبكم مني أنا وطمنينا كلمتى أهل العروسه و إلا لسه.

فتهلـل و جـه رامين فكم تمنى أن يسـأل و الدته و لكن منع نفسه حتى تبدأ هي الحديث و لكن أخاه أنقذه من نار الانتظار.

أجابته رغد بعدما شعرت بلوعة هذا المتيم:

ـ أيـوا ياحبيبي اتكلمنا مع هبـة و والدها و الاثنين موافقين و مرحبين، وبكرا إن شـاء الله هنروح نزوهم كلنا كدا و نقرا الفاتحه.

تهلل وجه رامين و تراقص قلبة فرحا، احتضنه أخيه مهنئا له:

ـ ألـف مبروك يادكتور، أيوا بقى عندنا مناسـبه، و عاوزين نسعد و نعملك أجمل فرح يليق بالدكتور رامين رضوان و عروسته المصون.

قهقهـت رغـد و كذلـك رامـين علـى كلماتـه و حركاتـه المسرحيه المصاحبه لها.

وقالت رغد بسرور:

ـ مبـروك ياحبيبـي ربنـا يسـعدكم و يوفقكم، خلـي بالك عليها و إوعى تزعلها، هبه بنت حساسه جدا و رقيقه.

رد رامـين:اللّه يبـارك فيكـي يا أمـي و المفروض متوصنيش عليهـا لإنك عارفة تربيتك وعارفة إن ابنك بيحترم و يقدر السـت اللي هتشيل اسمه.

رغد بنظرات معاتبه لابنها رايان:

ـ مـا أنـا يابني مربياكم انتـوا الاتنين، لكن الباش مهندس مش بيبطل خناق و ينكد على البنت الغلبانه.

قاطعها رايان:

ـ لكن بعشـقها ومدلعها و إسألها لو في حد ممكن يخاف عليها أوي زيي.

سُرت رغد:

ـ أيـوة كده يا قلب ماما، أنا يهمنـي إنك تفرحها و تدلعها، و السـت ياحبيبـي و قت ماتلاقـي الحنيه والدلع والحـب اللي يملي قلبهـا بتـدي بكل طاقتها مش بيهمها هي هتضحي بإيه علشـان تسعد زوجها وأولادها.

تفهم و لدها حديثها وعلما جيدا أنها تتحدث عن نفسها فهي من ضحت من أجلهم فلقد تركت عملها كمستشاره بهيئة قضايا الدولة حتى تتفرغ لرعايتهم ودراستهم، احتضنها الاثنان معا وبادلتهم بمحبه و حنان، و كعادتة رايان حول مسار الحديث إلى كوميديا حتى لا تشعر والدتهم بالحزن:

ـ المهم بقى يارورو إيهاب باشا سايبك ومستخبي فين.

رغد متذكرة:

ـ ياخبر ده قال هيغير لبسه على ما اجهز العشا وأبلغه، شوفتوا عملتوا فيا إيه هتلاقيه دلوقتي زعلان منى.

تبرع رايان بإبلاغه:

ـ خلاص سيبهولي، أنا هجيبه، و انتي جهزي العشا بدل مايلاقيه ماجهزش وتبقى ليلتك ليله النهاردة.

ذهب رايان لوالده عادت رغد لإكمال إعداد العشاء بينما رامين لم يترك مكانه و ظل متوترا لايعرف كيف يبدأ حديثة مع و الدته فيما يريد، انتبهت رغد لولدها ولتوتره فبدأت هي الحديث:

ـحبيبي مابدلتش لبسك ليه، إنت خارج تاني.

ـ لا أبدا يا أمي.. أنا كنت بصراحة عاوز اتكلم مع حضرتك في موضوع ؟.

رغد بانتباه:

ـ خير ياحبيبي فيه إيه ؟ إنت محتاج حاجه؟.

ـ لا يا أمي أنا بس كنت طالب من حضرتك خدمة.

ـ اتفضل ياحبيبي، اطلب زي ما إنت عاوز.

ـ حضرتك عارفة إن هبة والدتها متوفيه، وهي وأختها لوحدهم وأكيد ماكانتش عامله حسابها على زيارتنا، فلو يعني تكرمتي وساعدتيها، وياريت يا أمي تآخديها تشوفي كل اللي نفسها فيه وتجيبهولها.

ثم قدم لها بطاقة الائتمان الخاصة به.

ـ وخلي دي معاكي، اسحبى منها كل اللي تحتاجيه.

رغد وهي تربت على وجنته:

ـ تفتكر أمك حبيبتك هيفوتها حاجه زي دي، اتطمن أنا متفقه معاهم إني هاكون عندهم من الصبح، وإنت وبابا وأخوك هتيجوا لوحدكم، أنا أم العروسه.

❖ ❖ ❖

الفصل الحادي عشر

سعد رامين لحديث و الدته و تيقن أن صغيرته ستكون بخير ما دامت بين أحضان والدته الحنونه.

أمـا رايان بعد أن دق باب الغرفة مرات عدة ولم يجد إجابة من والده، فتحهـا ودلف إليه و وجده مسـتغرقا بنومه، عاد ليخبرهم فأجابته رغد:

ـ خلاص اتعشوا انتوا، أنا ماليش نفس و محتاجه أرتاح، علشان عندي بكرة يوم طويل تصبحوا على خير.

ردا سويا:

ـ وحضرتك من اهل الخير.

❖ ❖ ❖

أمـا بمنـزل إبراهيـم الخولي وبعـد أن انصرفت رغـد وزوجها وعاد محمد لمنزلهم وجد والده

يجلـس يحادث أخته ويظهر عليهما السـرور و السـعاده فنظر لها متسائلا:

ـ خير شـايفكم قاعدين وفرحانين فرحوني معاكم، سـما نجحت أكيد طبعا، لكن واضح إن المجموع كبير.

أجابه والده:

ـ تعالى اقعد بس وسيبك من الفضول اللي جواك ده.

ـ أنا فضولي ياحاج، لا ده واضح إن الغزاله رايقه أوي.

ـ طبعا لازم تروق الفرحه النهارده فرحتين.

ـ خير طيب فرحوني معاكم.

ـ أختك سما جابت تسعه وتسعين بالمائه.

ـ الله أكبر ماشاء الله.

ـ ولسه الخبر الأجمل، هبة أختك جالها عريس، ومش أي عريس ؟

محمد متعجبا:

ـ ده كل المفآجأت النهارده.. وياترى مين سعيد الحظ اللي هيخطف ست الحسن من بيتنا.

ـ الدكتور رامين ابن عمك إيهاب.

محمد بفرحه:

ـ الله أكبر.. ياه أخيرا حاجه حلوة تيجي على البيت دا.

ـ الله يرحمها أمك كانت نفسها تشوف اليوم ده.

ـ الله يرحمها ويجعل مثواها الجنه، زمانها حاسه بكل حاجه وفرحانه.

استأذنت هبة منهما بالانصراف لتجهز وجبة العشاء وانتهز والدها هذه الفرصه حتى يحادث ولده بدون وجودها قائلا:

ـ والله يامحمد يا بني كلها تدابير ربنا، يعني أنا كنت شايل هم كلام الناس إن سما تتجوز قبل أختها الكبيرة، وإنت عارف محدش بيرحم، وكنت خايف على مشاعر هبة، لما كل

واحده هتفضل تقولها ربنا يرزقك بابن الحلال و اللي تقولها ربنا يعدلها لك، وخوفت الكلام ده يأثر في نفسية أ ختك و إلا تشيل في نفسها، لكن أهو الحمد لله جات من عند ربنا.

رد محمد بضيق و هو يحاول جاهدا عدم الانفعال أمام والده:

ـ كلام الناس ده هو السبب اللي خلانا نضيع حق سما يا بابا، ونجوزها للي اسمه مراد ده، وإلا الست أمه اللي كل همها المحروس ابنها، و الله يا بابا أنا خايف أوي على سما من الست دي.

رد إبراهيم و هو ينعي قلة حيلته:

ـ كنت أعمل إيه يا محمد، نفسي تفهمني وتقدر موقفي، أنا خوفت عليكم كلكم، و إنت كان ممكن تقتله وتضيع مستقبلك، أو تقدمه للبوليس وساعتها هنتفضح وإخواتك الاتنين في الحالتين مضرورين لإن مفيش حد هيوافق يتجوزهم، يعنى اللي حصل ده يابني علشانكم، مش لأني أب ظالم زي ما أختك شايفاني، (زفر زفرة طويلة أودعها كسرته و حزنه) يمكن هي مش بتقول لكن واضح من نظراتها.

حاول محمد الجبر بخاطره:

ـ يمكن أنا كمان في الأول كنت ظالمك زيها، لكن مع الوقت فهمت وعرفت إن حضرتك فكرت في مصلحتنا كلنا، و مسيرها هتعرف هي كمان.

قطع حديثهم دخول هبة محدثة أخيها:

ـ يالا ياحبيبي العشا جاهز، وحضرتك يا بابا تعالى اتعشى

مع محمد ، أنا جهزت سندوتشات خفيفه ليا أنا وسما هنتعشى وننام لأن طنط رغد هتجيلنا الصبح بدري.

ابتسم لها والدها :

ـ خلاص يابنتي ادخلي انتي اتعشي وماتنسيش أختك و ارتاحوا ، تصبحوا على خير.

ـ وحضرتك من أهل الخير... تصبح على خير يا محمد.

ـو انتي من أهله ياهوبا.

❖ ❖ ❖

انتهى اليوم و الجميع بانتظار يوم جديد ملىء بالفرحة ومع إشراقة شمس الاسكندريه ، استيقظت هبة من نومها على رنين هاتفها معلنا موعد الاستيقاظ لتجهيز وجبة الفطورلأخيها قبل ذهابه لعمله و كما كانت و الدتها تفعل تماما ، فهي الآن من تولت جميع مهامها ، و بينما كانت تجهز الطعام وجدت أخيها مادا يده لها وبها مبلغ من المال وترتسم على وجهه ابتسامة حنونه مملوءة بالفرحة :

ـ صباح الخير ياهوبا

ـ صباح النور ياحبيبي (نظرت ليده و ما بها) إيه الفلوس دي؟ لسه المصروف اللي بابا عطهولي ماخلصش.

ـلا ياحبيبة أخوكي ، دي علشانك انتى وسما تنزلوا تشتروا فساتين جديده ، علشان مقابلة النهارده.

فأجابته بصوت منخفض:

ـ لا يامحمد شكرا إحنا عندنا كثير.

إعترض و هو يضع المال أعلى المنضده:

ـ لا ياهوبا لازم تشتروا حاجات جديده تليق بالمناسبة، ويلا مافيش وقت، أنا هاكل أي حاجه بسرعه، وانتي صحي أختك وانزلوا.

خرجت هبة من غرفة الطعام هربا من أخيها فهي خجلة من مجرد تذكير أخيها لها بأنها اليوم ستكون ملك لرجل غريب، رجل أعجبت به مع أنها دائما كانت تخاف التعلق بأحد حتى لا تصدم بالنهايه، و ما أن وصلت إلي غرفتها حتى وجدت سما استيقظت هي الأخرى و قبل أن تخبرها ما قاله أخوها، ارتفع رنين هاتفها و أضاءت شاشته الصغيرة باسم رغد.

فأجابت على عجل:

ـ السلام عليكم.

ـ و عليكم السلام، جاهزة ياعروسه.

ـ جاهزة حالا.

ـ وسما جهزت و إلا لسه... يالا أنا في الطريق ليكم.

ـ سما لسه صاحيه هتقوم تجهز حالا.

ـ يالا قوليلها ماما رغد بتقولك قومي ياكسوله ورانا حاجات كتير.

ـ حاضر هبلغها.

ـ أول ما أوصل هكلمك تنزلوا علطول، مع السلامه يا حبيبتي.

ـ مع السلامه.

بـدأت هبة في ارتداء ثيابها و تبعتها سـما بعد محاولات عدة من الإقناع، إلى أن هاتفتهم رغد وتقابلوا معها.

اسـتقلوا السـيارة الخاصـة برغد، وتجولـوا بجميـع المـولات ومحلات الملابس الحريمي ومنها

إلـى المحـلات الخاصـة بمسـتحضرات التجميـل والإكسسـوارات، ثم إلـى مجـال المصنوعـات الجلديـة لشـراء الأحذية.

رغد كانت تتعامل معهما و كأنها أمهما فلم تسمح لهما بدفع مقابل لأي شـيء اشتروه، واشترت لهم الكثير من المقتنيات لم تبخل عليهم بشـيء اشـتروا الكثير من مستلزماتهما الشخصيه ثـم ذهبـوا إلى أكبرمحال الحلويات لشـراء مـا يلزمهم للضيافه و بالآخرعـادوا للمنـزل ولم تتركهما رغـد، بل صعدت معهما و عاونتهمـا على جميع التجهيزات و قبل الموعد بسـاعة اسـتعدوا جميعا لاسـتقبال الضيوف لم تشـعر الأختان للحظة أن الضيوف القادمين إليهم يمتون بصلة قرابة لرغد بل كان شـعورهما أنها والدتهما الحبيبه التي تستعد معهما لاستقبال الضيوف الأغراب، قللـت لديهما من افتقادهما لأمهما و أمنياتهما بأن تكون معهما في مثل هذا الوقت، لم تنسـيا أمهما بالطبع، لكن إحساسـهما بالفقد و اليتم قد تضائل كثيرا بحضور رغد، وكأنما أرسـلها اللّه لهما عوضا من عنده و رحمة بهما.

بهـذه الأثنـاء كان إيهـاب يصطحب ولـده بسـيارته الخاصة

لشراء الهدايا و تقديمها حين و صولهم للعروس و عائلتها وكانت المفاجـأة حيـن أخبرهـم راميـن عـن شـرائه لخاتم مـن الذهب الأبيـض صممه خصيصا من أجل معشـوقته، يتدلى من منتصفه قلـب بداخله أول حرف من اسـمه باللغة الإنجليزية R وداخله أول حرف أيضا من اسـمها بنفس اللغة و كان اسـمه يحتضن اسمها كما أراد قلبه احتضان قلبها، ابتسم إيهاب ناظرا لولده بفخر و سعادة و اطمئن بداخله على هذان العاشقان.

وصلوا جميعا لمنزل إبراهيم الخولي، كان باستقبالهم جميع أفـراد العائلة و على رأسـهم و الدة العريـس و القائمة بدور و الدة العروس و على أكمل و جه بالترحاب.

بادر إبراهيم بالترحيب بضيوفه:

ـ أهلا و سهلا شرفتونا.

رد إيهاب بسرور:

ـ أهلا بيك ياحاج إبراهيم... إزيك يامحمد مش بنشوفك ليه؟

رد محمد مبتسما و مرحبا بهم:

الحمد للّه ياعمي و اللّه بخير..بس الشـغل مزودينه علينا جدا اليومين دول.

تدخلت رغد بمزاح:

ـ أهلا و سـهلا يا أسـتاذ إيهاب، نورتنا يا دكتور رامين وإنت ياباش مهندس رايان.

قهقه الجميع على مزحتها و أجابها إيهاب:

ـ يعني عاوزة تقوليلنا خلصوا و قوموا امشوا و إلا إيه يأم العروسه.

ردت بابتسامة:

ـ لا طبعا يا حبيبي دي تيجي بس يعني انتوا هتقضوها سلامات و تحيات و أنا شايفة الدكتور رامين قاعد مخنوق وعاوز يطمن على مستقبله.

إيهاب و هو يشير على زوجته:

ـ شوفتوا أهي قلبت في لحظة من أم العروسه لأم العريس.... خلاص يا ستي هنطمن الدكتور

وأم الدكتور(ثم و جه حديثة لإبراهيم و محمد مكملا) يا جماعه إحنا طبعا جايين النهاردة وطالبين إيد بنتكم هبة لابني رامين، و كل طلباتكم مجابه.

نظر كل من إبراهيم و محمد إلي بعضهما وأجابه ابراهيم:

ـ بنتي هي بنتك و رامين ابني زي محمد بالظبط و احنا موافقين طبعا و ده شرف لينا ننده العروسه و نقرا الفاتحه.

تهللت رغد:

ـ حالا هتكون هنا.

ذهبت لتحضر كلا من سما و هبة التي خرجت تشبه الورد الجورى في جمالها و دفئها متألقة كنجمة تلمع في السماء الصافية، وجهها البشوش وجنتاها تكسوهما حمرة الخجل، حجابها الفضي الذي أظهر استدارة وجهها، هذا الفستان المحدد لمنحنيات جسدها الممشوق، بلونه الرمادي

والذي يزينه وردات من الكريستالات الفضية ، و الذي اختارته لها أختها ورغد بعناية فائقة و أقنعتاها بارتداءه بعد عدة محاولات من رفضها لإرتداء أي ألوان ما عدا الأسود دلالة على استمرار الحداد....

تلاقت الأعين و اندمجت النظرات و كأنها تتحدث بدلا عنهما... قطع عليهم تبادل أحاديثهما الصامتة ترحاب إيهاب بعروس و لده الأكبر:

ـ أهلا أهلا بعروستنا القمر... ماشاء الله تبارك الله ، تعالي ياهبة اقعدي و سمعينا رأيك.

ألقت هبة التحية على الجميع و جلست حيث أشار لها إيهاب بجوارة ، بينما انشغلت سما ورغد بتقديم الحلوى و العصائر.

تكلم إيهاب:

ـها ياعروسة موافقة على الشاب الأمور ده وإلا مش موافقه و يقوم يمشى خلاص... قالها بممازحة حتى يقلل حدة التوتر و الخجل.

أجابته هبة بابتسامه هادئة وصوت يكاد يكون مسموع:

ـاللي بابا ومحمد يشوفوه.

ـ بابا و محمد موافقين و مستنين رأيك.

ضمت هبة كفيها على بعضهما بتوتر و كادت الدموع تنهمر من شدة خجلها و كالعادة أنقذتها رغد من هذا الموقف الصعب.

ـ خلاص يا سيادة المستشار ماتحرجهاش أكثر من كده.... هي موافقة هنقرا الفاتحه و إلا آخد بناتي و أدخل جوه تاني.

قهقهـة الجميـع على تهديدهـا الصريـح أما إيهـاب فرفع يده مستسلما:

ـ لاياست الكل هنقرا الفاتحه.

رفـع الجيمـع أيديهـم قارئيـن لسـورة الفاتحـه تأكيـدا على كلامهم و اتفاقهم حتى نطق الكل مجمعين...

ـ و لا الضالين آمين.

تبادلـوا جميعا المبـاركات و التهاني، أما العاشـق الولهان و الذي أبهر الجميع حين أخرج من جيب سـترته الأنيقة علبة فضية و بهـا الخاتم الرائـع طالبا من والدته أن تلبـس إياه لصغيرته فهو إلى الآن لا يحل له أن يلمس أناملها.

سُرت رغد وهي تشاهد الخاتم لأول مرة:

ـ إيه الجمال ده... طلعت مش ساهل خالص انت يادكتور، و بعدين انت بقى كل ماهتحب تلبسها حاجه هتسلمها لي ... لا، إيه رأيكم نعقد القران مع الخطوبه و الشبكة.

ثم نظرت حيث يجلس زوجها بصحبة إبراهيم و محمد.

أعجبت إيهاب الفكره:

ـ و الله فكره كويسـة جدا، خصوصـا إنهم مش هيتأخروا في الزواج و محتاجين يجهزوا متطلبات بيتهم، لكن الرأي الأول و الأخير للحاج إبراهيم و محمد بعده.

رد إبراهيم:

ـ إنـت أبوها ياسـيادة المستشـار و اللي تشـوفه فـي الصالح تعمله من غير ماترجعلي.

رغد بفرحه و امتنان لثقتهم بزوجها :

ـ يبقى على خيرة اللّه ، و أوعدك ياحاج إبراهيم غنك مش هتندم على ثقتك الغالية دي والإسبوع الجاي ان شاء اللّه نكون حجزنا مكان هاديء نحتفل بعقد القران و تلبس الشبكة اللي هننزل نشتريها بكرة إن شاء اللّه.

تنحنح رامين:

ـ بعد إذنكم طبعا ، أنا محتاج أتكلم مع هبة على انفراد لكن في وجودكم.

تفهم إبراهيم:

ـ طبعا يابني ده من حقكم دلوقتي ، اتفضلوا اخرجوا البلكونه ، هبة و سما عاملين قاعده حلوة هتعجبك وحتى تشوف عصافير هبة ، لإن دول هتآخدهم قبلها ، أنا راسي و جعتني من صوتهم.

ابتسم رامين لحديثه مجيبا :

ـ أي حاجه تخص هبة و بتحبها أكيد هتنور حياتي و هكون أسعد إنسان لو احتفظت بيها.

نظر جميع من بالمجلس له نظرة إعجاب و تقديرعلى هدوءه و احترامه و حبه لهذه الفتاة وطريقة تعبيرة عن هذا الحب.

اصطحبت هبة رامين لمجلسها الخاص هي و أختها ، حاولت كثيرا إخفاء خجلها و توترها فهي كثيرا ما تعاملت مع رامين كابن لرغد و إيهاب حتى حينما عاونها بدراستها لم يتحدثا بغير المحتوى الدراسي ، أما الآن فهو الشخص الذي تمناه قلبها و نالة أخيرًا.

كسسر رامين حاجز القلق حينما تحدث لها :

ـ مبروك ياهبة.... يارب أقدر أسعدك.

هبه بصوت خفيض:

ـ اللّه يبارك في حضرتك.

قهقة رامين فنظرت له معتقده أنه يستهزأ بحديثها فرفع يداه مستسلما و اليد الأخرى أشار بها على غلق فمه حتى جعلها تبتسم هي من فعلته هذه.

ـ في و احده تقول للراجل اللي لسه قاري فتحتها ، و فرحهم كمان أسبوع حضرتك... قولي رامين نفسي اسمع اسمي منك ياهبة.

ردت و الخجل يحتل كيانها :

ـ مش عارفة دلوقتي ممكن تسيبها تيجي لوحدها.

ـ طيب أنا مش هاضغط عليكي... بس أنا كنت عاوز أسالك على حاجات.

الفصل الثاني عشر

تحفزت حواس هبة بعد جملته و انتبهت بشدة:

ـ اتفضل إسال.

ـ إنتي تحبي فرحنا يكون شكله إيه ؟ أنا عاوزك انتي اللي تختاري.

ـ أنا معنديش تخيل معين لكن كنت اتمنى أنه يتعمل ببساطه علشان وفاة ماما.

ـ علشان كده أنا طلبت اتكلم معاكي، لما حسيت إنك اتضايقتي وقت ما والدتي قالت عن الفرح والقاعه.

ـ لا طبعا متضايقتش و لا حاجه، الموضوع كله إن ماما ليها شهور بس متوفيه، و الناس يعني هتقول نسوا أمهم، لكن كمان مش عاوزة أحرم عمي إيهاب و طنط رغد من فرحتهم بيك.

أنا كل اللي يهمني إنتي و إنك تكوني مرتاحه و مبسوطه وعلى فكرة أنا متاكد أن ماما و بابا كمان هيراعوا جدا الموضوع دا، لكن الفكرة في إننا نحجز مكان علشان لازم نعزم الناس والأقارب يعني علشان الإشهار، و لإني نفسي الدنيا كلها تعرف إنك بقيتي مراتي.

غمرت السعاده قلب هبة الصغير... فكم تمنت رجلا مثل رامين يحافظ على مشاعرها و يهتم بأدق تفاصيل حياتها... بينما كان رامين يداعب عصفوراها الصغيران داخل القفص

الحديدي محدثا إياها:

ـ شكلهم جميل أوي و اضح إنك بتحبيهم جدا.

ـ أيوة بانسى معاهم كل حاجه، بحس اد إيه هما بيحبوا بعض.

ـ بس أكيد مش هتنسيني معاهم... لإنك هتتأكدي إني بحبك أكتر ماهما بيحبوا بعض.

ازدادت حمرة الخجل بوجنتاها و أصبحت تشبة ثمرة الفراولة حتى أشفق عليها رامين:

ـ إيه ده وأنا كل ماهقول كلمة هتقلبي على فراولاية كده، تؤتؤتؤ مش هينفع كده يا هبتي.

هبة مندهشة:

ـ هبتي.

ـ طبعا إنتي هبة ربنا ليا يعني هبتي.

لم تستطع هبه الرد على كلماته الراقية و إحساسه المرهف، فكم السعادة التي تشعر بها الآن لا يضاهيها شيء، حاولت التهرب منه بسؤاله:

ـممكن أسالك أنا عن حاجه.

ـأكيد طبعا، اتفضلي.

ـ في أي حاجه فيا حابب أغيرها.

ـ لا طبعا (ابتسم ابتسامة ساحرة) كلك على بعضك حلو، من هدوئك...لأخلاقك... لشيكاتك، ولو ليا طلب هيكون

إنكِ تحبيني و بس و ماتتكسفيش مني و تطلبي أي طلب من غير حتى ماتفكري.

كادت هبة تطير من فرط سعادتها و أجابت بكل حب:

ـ حاضر.

انتهز رامين الفرصة:

ـ حاضر إيه؟ هتحبيني.

هبة محاولة الهروب من الإجابة و من إحراجها:

ـ تقريبا طنط رغد بتنادي عليا.

ولم تعطه فرصة للحديث وعادت لتختفى بين عائلتها مخفية خجلها من حديثة المعسول والمحبب لقلبها، لحق بها رامين مخفيا هو الآخر ابتسامته على هدوئها و خجلها اللذان أوقعاه صريع هواها.

لم تخف لمعات الحب و السعادة الواضحة في عينيهما عن المحيطين بهما و خاصة رغد و كم سعد قلبها لرؤيتهما هكذا و دعت الله من كل قلبها أن يديم هذه السعادة على الجميع.

انقضى اليوم و تعلقت الآمال بالغد لكي تبدأ التجهيزات السابقة لعقد القرآن الذي اتفق على أنه سيكون خاليا من الضجة و الغناء و أولها شراء الشبكة.

باليوم التالي حضرت رغد كعادتها للفتيات بعد أن انتهت من جميع متطلبات منزلها و عائلتها كان من المفترض أن يتقابلا مع رامين مساءا لشراء الشبكة، لكن رغد فوجئت بهبة تعتذر لها حتى لا تترك أختها بمفردها أثناء حضور والدي مراد، وما

كان من رغد غير الموافقه وتأجيل شراء الشبكة ، وقامت بدورها بإبلاغ ولدها ، فهي علي يقين تام من صعوبة هذه المقابله على سما وجميع من بالمنزل.

حل المساء و حان الموعد المنتظر لقدوم الشيخ محمود وزوجته ، و اعتقد الجميع أن مراد سيتطفل وافترضوا حضوره بالموعد ، ولكنه خالفه توقعاتهم فحين ارتفع صوت جرس باب المنزل و قام إبراهيم لاستقبال الضيوف وجدهما لحالهما بدونه.

بدأ الشيخ محمودبالسلام:

ـ السلام عليكم ورحمة اللّه و بركاته.

رد إبراهيم مرحبا :

ـ وعليكم السلام... أهلا و سهلا ، اتفضل ياشيخ محمود ، اتفضلي يأم مراد.

ابتسمت سعاد :

ـ و عليكم السلام، يزيد فضلك يابومحمد ، مبروك نجاح عروستنا (قالت الأخيرة بتأكيد أنها تخصهم هم).

تنبه لحديثها رغد وإبراهيم.

ظهرت رغد لتحييها :

ـ سلام عليكم، إزيك يامدام سعاد ، إزيك ياشيخنا.

محمود بلطف:

ـ وعليكم السلام أهلا بحضرتك، إحنا الحمد للّه بخير ، كيف الأحوال ؟و إزي صحة سيادة

المستشار ؟

ابتسمت رغد :

ـ بخير الحمد لله، وبيسلم على حضرتك ومدام سعاد.

سعاد التي تكاد تموت غيظا من وجود رغد :

ـ الله يسلمه، ياريته كان موجود و الله علشان يشاركنا القعده زي حضرتك كده.

رغد وقد تفهمت المعنى المبطن من حديثها :

ـ هو كان هنا امبارح أصل قرينا فاتحة هبة لرامين ابني، و كتب الكتاب الإسبوع الجاي إن شاء الله.

سعاد وقد اشتعلت الغيرة بداخلها فكم تمنت أن تقترب هي من الفتاتين لعلها تغير شرط سما بزواجها من و لدها، و لكن الآن وجود رغد واقترابها أكثر منهما سيمنعها من تنفيذ مخططها ولكنها وجدتها فرصة سانحة لكي تفاتح عائلة سما بأمر إتمام زواج ولدها منها، خرجت سعاد من أفكارها و تخطيطها حين استمعت لرد رغد على مباركة زوجها :

ـ الله يبارك فيك ياشيخ محمود عقبال ماتفرح بابنك إن شاء الله.

لترد سعاد بسرعة :

ـ يارب ياحبيبتي، ومبروك لابنك وهبة ربنا يتم فرحتهم وتشوفي ولادهم.

ـ اللهم آمين.. أستأذن أنا أناديلكم سما.

غادرت و سعاد ترمقها بنظرات لها القدرة على إحراقها ، فهي تود قتل تلك الرغد و التخلص منها ، و لا تستوعب فكرة وجودها المستمر هكذا في المنزل و حريتها فيه و كأنه منزلها.

دخلت رغد غرفة الفتيات لتجد سما بحالة نفسية محطمة و دموعها تكسو و جنتيها وشهقاتها تتسارع.

اقتربت منها محتضنة إياها :

ـ خير يا حبيبتي مالك؟ إيه كل العياط ده؟.

بادرت هبة بالتوضيح:

ـ مش عاوزه تخرج وتشوف اللي اسمه مراد ده.

طمأنتها رغد :

ـ هو مش معاهم يا قلبي اللي بره مدام سعاد و الشيخ محمود بس.

هدأت سما قليلا ،وبدأت بمسح دموعها ،وساعدتها رغد على تجهيز ملابسها ،ثم اصطحبت هبة لتجهيز الضيافة من أجل تقديمها.

و بينما كانت رغد بالداخل مع الفتيات، تحينت سعاد الفرصه لتبدأ حديثها عن إتمام الزواج دون تدخل من رغد قائلة:

ـ يعني يا حاج إبراهيم حددت ميعاد فرح هبة قبل ماتحدد ميعاد فرح مراد وسما ،ده إحنا جهزنا كل حاجه خلاص ،ومستنيين العروسه تيجي تشوف جهازها.

ـ كان لازم أحدد فرح هبة قبل سما يا ست سعاد ،وإلاعاوزة الناس تآكل وشنا وتقول جوز الصغيرة قبل الكبيرة ،ماهو

ماحدش يعرف اللي حصل علشان يقدر ويسكت وكلام الناس هو اللي عملنا حسابه من الأول ولازم نكمل للآخر.

محمود متداركا الموقف:

ـ معاك حق طبعا ياحاج إبراهيم، و لو إني شايف إن الناس في كل الاحوال مش هتسكت.

ـ أهو نعمل اللي علينا ياشيخ محمود.

تدخلت سعاد بالحديث:

ـ طيب ياحاج إبراهيم شوف الميعاد اللي يناسبكم علشان نحجز قاعة الأفراح.

لم يستطع إبراهيم الرد بعد ما جاءت إجابة سما حاسمة و قاطعة:

ـ قاعة أفراح لمين ياطنط ؟، هو حضرتك نسيتي إن والدتي اتوفت بقهرتها عليا.

حاولت سعاد تدارك الموقف:

طيب تعالي سلمي علينا الأول و خلينا نباركلك.

اقتربت سما وصافحت كلا منهما.

ابتسم محمود:

ـ مبارك عليكي نجاحك يابنتي عقبال الشهادة العليا، و أنا معاكي زي ما و عدتك.

ردت سما:

ـ اللّه يبارك في حضرتك ياعمي، ربنا يديك الصحه و تنفذ

وعدك ليا.

كالعادة اقتحمت سعاد الحديث:

ـ شوفي ماما سعاد جابتلك إيه هدية نجاحك.

ثم أخرجت من حقيبتها علبة قطيفة بها سلسال من الذهب الأصفر متدلي منها حلية على شكل كلمة اللّه.

نظرت لها سما متجهمة الوجه:

ـ شكرا لحضرتك طبعا، وكان كفاية كلمة مبروك.

ـ لاء أبدا و دي تيجي، ده إنتي زي بنتي، ما أنا لو كان ربنا كرمني ببنت حلوة زيك كده كنت هجيبلها هدية نجاحها.

ـ أنا هديتي إن حضرتك تراعي مشاعري و تقدري حزني إني كنت سبب في وفاة أمي وتوافقي إن مانعملش فرح، و نحتفل هنا أو في أي مكان زي قاعة بمسجد مثلا من اللي مخصصة للمناسبات دي.

بادر محمود بالقول:

ـ و اللّه عين العقل يابنتي اهو منها إشهار، و منها مراعاة لحالة الوفاة.

اعترضت سعاد:

ـ بس دي هي ليلة في العمر يابنتي و لازم أشوف رأي مراد إيه.

نظر لها الجميع باستنكار متعجبين، فهل من المفترض أن يكون لذلك المراد رأي بعد مافعله وما وضعهم به جميعًا.

أتت رغد وهبة تحملان الصواني وعليها الحلويات الشرقية

والمشروبات و قدماها إليها بعد أن قامت هبة بالترحاب بهما.

قالت سعاد :

ـ ها يا حاج إبراهيم حدد الميعاد ،لو هبة الإسبوع اللي جاي إيه رأيك يكون فرح سما ومراد الإسبوع اللي بعده.

إراهيم موجها حديثة لسما :

ـ إيه رأيك يا سما ؟.

فنظرت سما لرغد متعمدة مضايقة سعاد :

ـ ماما رغد إيه رأي حضرتك.

أومأت رغد برأسها :

ـ أيوة يا حبيبتي ما تقلقيش كل حاجه هتخلص إن شاء الله.

استسلمت سما لقدرها :

ـ خلاص يا بابا شوف حضرتك اللي يريحك.

تنهدت سعاد :

ـ يبقى على بركة الله هشوف بس رأي مراد في موضوع الفرح.

ارتسم الغضب على ملامح سما :

ـ ياريت حضرتك تبلغيه إن دي رغبتي و لو حب يعمل فرح أنا مش هاحضره.

رفعت سعاد حاجبيها و زمت شفتيها :

ـ إيه يا سما ، انتي كل طلباتك بتتنفذ ، لكن بردة كل حاجه بالأصول، و الفرح ده هيكون ليكي قبل مايكون ليه.

اعترض إبراهيم:

ـ تقصدي إيه ياست أم مراد بكلامك.

احتد النقاش وكان لا بد من وجود طرف ينهيه و تولى هذه المهمة الشيخ محمود حيث صاح بزوجته قائلا:

ـ خلاص يأم مراد، سما حلتها من الأول، و حقك على رآسي ياحاج إبراهيم، أم مراد ماتقصدش حاجه وحشه.

زفر إبراهيم:

ـ حصل خير يا شيخ محمود، إحنا بقينا أهل و مش هينفع كل و احد فينا يدقق على كل كلمة وأنا شايف إن كلام بنتي عين العقل، وعلى فكرة الدكتور رامين هو بنفسه اللي طلب إن عقد قرانهم يتعمل على الضيق و يحضرة الأهل بس للإشهار وده كله مراعاة لمشاعر هبة ومشاعرنا، يعني المفروض كانت جت منكم إنتم و إلا إيه يا شيخ محمود؟!

محمود خجلا من حديث زوجته:

ـ معاك حق ياحاج إبراهيم، وزي ما اتفقنا، بعد فرح الآنسه هبة بإسبوع هيكون الفرح وأنا هاشوف قاعات المناسبات اللي بتتبع المساجد و احجز في المتاحه منهم وأبلغكم.

تساءلت سعاد:

ـ طيب و هنجيب الفستان إمتى وإلا ده كمان مش عوزاه يا سما.

جاءها الرد من رغد:

ـ لا إزاي هو في عروسه من غير فستان، أكيد هتجيب أجمل فستان.

ردت سعاد :

ـ طيب يامدام رغد شوفي حضرتك هتنزلي مع هبة تشتري فستانها إمتى و أنا آجي معاكم ده بعد إذنكم طبعا علشان نشتري لسما كمان.

رغد و هي تنظر لسما تترجاها ألا ترد حديثها :

إحنا إن شاء اللّه هننزل بعد بكرة لإن بكرة بأمر اللّه رايحين نشتري الشبكه.

وجدتها سعاد فرصة يجب اقتناصها :

ـ إحنا كمان عاوزين نشتريلها شبكتها ، شوفي يوم ننزل فيه بعد إذن الحاج إبراهيم طبعا ، وحضرتك تكوني معانا يامدام رغد.

إبراهيم متعمدا إحراجها :

اسمعيني يا ست سعاد أمور التجهيزات و الشبكه و الحاجات دي مواضيع حريمي شوية والست رغد في مقام أمهم، و القرار اللي هتاخده أنا موافق عليه فتقدري تتفقي معاها هي.

قالت رغد بامتنان:

ـ كتر خيرك يا أستاذ إبراهيم و يارب أكون أد الثقه دي.

حاولت سعاد إخراج نفسها من هذا الموقف المحرج لها :

معاك حق واللّه ياحاج إبراهيم، دي أمور حريم فعلا وأنا شايفة إن البنات متعلقين بالست رغد وبينفذوا كلامها.

توجت لها نظرات كلا من سما وهبة و رغد ، داعين اللّه

أن يرحمهم من لسانها السليط، بينما شعر الشيخ محمود بمدى وجود إنهاء هذا اللقاء فيكفيه ما تفعله زوجته قبل أن تشعل الجلسة بأفكار أخرى، و قرر الانصراف.

ـ نستأذن إحنا ياجماعه، الوقت إتأخر، و معلش يامدام رغد إن كنا هنتعبك معانا.

ـ لا أبدا ولا تعب ولا حاجه سما بنتي.

تنهدت سعاد:

ـ طبعا، اديني رقم تليفونك يا مدام رغد، علشان أكلمك نتفق على ميعاد.

ـ آه طبعا اتفضلي.

تبادلتا أرقام الهواتف، وسلم محمود وزوجته على الجميع و انصرفا.

مر الإسبوع الأول على الجميع بين تجهيزات لحفل عقد القران وتحضيرات لزفاف سما ومراد ولم تتقاعس رغد عن شراء كل مايخص الأختان، عانت الكتير لتوفيق الأوضاع بين سعاد وسما وكم تدخلت لإنهاء إختلاف الآراء والجدل بينهما.

واليوم هو موعد حفل القران و بحلول المساء ذهب رامين بصحبة أخيه و ابن عمه ليصطحب عروسه من أحد مراكز التجميل، بينما ذهب إبراهيم و إيهاب لاستقبال المدعوين بقاعة المناسبات التابعة لنادي القضاة.

وأثناء انتظار كلا من رامين و أخيه رايان و ابن عمه روجان أمام مركز التجميل، خرجت إليهم رغد بصحبة حوريتان من

الجنــة و هــي تتأبــط الأختان ليقتــرب منهم رامين تائهــا بحوريته وجمالهــا الفائق فما أروعها بهذا الفســتان من اللون الكاشــمير المطعم بالكريســتال وشعرها المتدلي كأميرات ديزني فلأول مرة يرى شعرها ولونه الكستنائي، وكم أزعجه أن يراها غيره بهــذا الجمال، وقــرر أن يعاتبها فيما بعد، فهــو لم يكن على علم بأنها ســتظهر شــعرها وإلا كان رفض ذلــك، ولكن هذا ليس وقت للعتاب فاليوم للســعادة فقط، ولم يكن وحده التائه فهناك مــن غاب عــن و عيه من جمال تلك الحســناء الأخرى و التي حمد اللّه أنها ليست زوجه ابن عمه و إلا اختطفها منه، فقد سرقت لبة من النظرة الأولى فاقترب هو الآخر من ابن عمه رايان متسائلا:

ــ مين القمر اللي في ايد رورو دي.

أجابه رايان:

ــ دي سما أخت هبة.

تنهد روجان:

ــ اسمها سما دي سما بنجومها و قمرها.

رايان بحركة مسرحية و كأنه يعزف على آلة الكمان:

ــ تيرا رارا فوق يا دكتور دي متجوزة.

رايان بصدمة:

ــ إيه دي متجوزة دي شكلها أصغر من عروسة رامين.

ــ فعلا هي الصغيرة لكن للأسف مكتوب كتابها و فرحها الإسبوع الجاي، لكن إيه حكايتها حكاية.

روجان بمكر:

ـ طيب ماتحكيلي و إحنا في الطريق، ما إنت هتركب معايا أهو نتسلى.

ـ لا، دي خصوصيات ناس و ماينفعش اتكلم فيها يا دكتور.

ـ من امتى ياهندسه الأخلاق العالية دي، عليا انا !! بتخبي على أخوك، طيب ابقى شوف مين هيحللك مشاكلك إنت و الست روجين هانم.

زفر بضيق:

ـ ماتفكرنيش بأختك المجنونة دي، إيه الفستان اللي هي لبساه النهارده ده أنا مسكت نفسي بالعافيه، و إنت إزاي تنزلها من البيت كده، إيه مافيش نخوه خالص.

تجاهل روجان كلامه:

ـ طيب يلا اركب، طنط رغد أخدت النجوم معاها في عربيتها و أخوك ركب مع عروسته في عربيته و انت طلعت من حظي.

ـ يلا ياسيدي.

استقلا السيارة وحاول روجان كثيرا أن يعرف أية تفاصيل عن سما، و لكن رايان لم يعطية أية إجابات.

❖ ❖ ❖

وبسيارة رامين كانت السعادة ترفرف على السيارة و تحيط المتواجدين بها بهالة من الحب، وكاد رامين يطير من فرط السعادة فاليوم معشوقته ستكون على اسمه وزوجة له فحدثها

قائلا :

ـ مبروك ياهبتي.. زي القمر ياحبيبتي.

هبة و قد و قعت بالفخ فأجابته بتلقائية :

ـ لا و الله انت زي القمر برده.

أدركت ما قالت أو بمعنى اصح ما استدرجها لقوله فتوردت و جنتاها خجلا....

فقهقه رامين على خجلها حتى كادت أن تبكي من فرط خجلها فلم يستطع رؤيه الدموع التي تلألأت في عينيها و ما أن رآها امتدت يداه لتجذب يدها معتذرا :

ـ آسف حبيبتي والله ، إوعي أشوف دموعك دي أبدا ، وبعدين يا قلبي إنتي بتتكسفي مني ده كلها دقايق وتبقي مراتي ، خلاص ياهبتي بقى لو ليا غلاوة عندك مش عاوز أي دمعه بعد النهارده ، أنا في الدنيا علشان أسعدك و أحبك و بس.

ابتسامه هادئة تسللت إلى وجهها أنارته بالسعاده و الحب ، فقررت ترك خجلها من الآن فصاعدا :

ـ ممكن متكسفنيش تاني.

رامين و هو يشير على عيناه:

ـ من عيوني يا قلبي.

❖ ❖ ❖

الفصل الثالث عشر

وصلا إلى مكان القاعة ومع نسمات الصيفية العليلة وأمواج بحرالاسكندرية المتلاطمة و التي تصطدم بجدران القاعة من الأسفل يزداد رونق المكان.

تناغما مع ظهور العروسين كنجمين يتلألأان بسماء الاسكندرية الصافيه وقف الجميع مصفقا و تم عقد القران، وأصبحت هبة إبراهيم الخولي زوجة رامين إيهاب رضوان.

تعرف باقي أفراد العائلتان على بعضهما البعض و احتضنت يد رامين يد هبة ليعرفها على جميع أفراد عائلته ويفتخر بها و هي في قمة سعادتها و بينما كانت سعادة رامين و هبة تملأ المكان كان هناك قلوب أخرى تنتفض بأجساد أصحابها، فقلب سما يرتجف قهرا كلما اقترب ميعاد انتقالها لمنزل مراد و عائلته، وازدادت ارتجافته حين و جدته يطل عليهم ببدلته الانيقة و ذقنه المشذبه و كأنه يقول لها أنا لست كما عرفتيني فقد تغيرت و لكنها لن ترضى عنه مهما فعل، أما عن قلب مراد فزاد شوقه وولعه بسماه بعد أن رآها بذلك الفستان الذي أبرز أنوثتها وجمالها الطاغي بلونه الأحمر الأرجواني الذي أظهرها كنجمات السينما، و اشتد غضبه داخلة حين انتبه لتلك العيون المسلطة عليها، وعلى رأسهم ذلك الهائم على عكس طبيعته الجاده وشخصيته القوية و التي ازدادت حين التحق بكادر

التدريس كدكتور للقانون الجنائي بجامعة الإسكندريه، إنه روجان رضوان ابن أخ إيهاب و الذي و قع أسيرا في حب هذه السما من النظرة الأولى.

حينما رأت سعاد و لدها، و لاحظت نظراته الزائغه على سما و حبه الواضح بقوة في نظرته لها، كاد قلبها ينفطر عليه و على قلبه الملتاع، تمنت لولم يفعل بها مافعل، أو أنه لم يراها من مبتدأ الأمر.

انتهى الحفل و عاد كل إلى منزله و من الغد ستبدأ االاستعدادات لزفاف سما.

أما رامين و هبة فقد تقربا و أصبحا جزء لا يتجزء من بعضهما البعض يستيقظ على ميعاد استيقاظها حتى يكون أول من يلقى عليها تحية الصباح، لايأكل بدون أن يطمئن أنها تناولت طعامها.

تعيش هبة أسعد أيام حياتها، بينما على النقيض أختها سما و التي تعيش أصعب أيامها، مع اختفاء كل من محمد ووالده من الصوره سعيا على الرزق حتى يستطيعا تجهيز الفتاتان فحتى ولو تحملت عائلة رامين معظم تكاليف الزواج و كذلك أهل مراد الذين جهزوا منزلهم لاستقبال سما دون مشاركة منها، إلا أنه يتبقى لهم بعض الأشياء وعليهم الوفاء بها.

❖ ❖ ❖

مرالأسبوع الثاني و اليوم هو يوم زفاف سما على مراد أو بالمعنى الأدق هو يوم انتقالها للمعيشة بمنزل عائلتة و التي تم تجهيز غرفة خاصة لها بها منعزلة بمفردها عن غرفة مراد.

ارتدت سما فستانها و قامت إحدى خبيرات التجميل بتزينها بعد أن رفضت الذهاب إلى مراكز التجميل و أصرت أن تخرج من منزل والدها عروسا ، و ما أن أتى مراد و والدته ليصطحباها لقاعة المناسبات الملحقة بمسجد سيدي جابر الشيخ بمنطقة شرق الاسكندرية ،و رآها مراد حتى انتفض قلبه و علت دقاته و شرد بوجهها الملائكي، فكم كان مريضا حينما اعتدى عليها مفسدا حياته و عليه المصابرة حتى يستطيع أن يصل لقلبها ، أمسك كفها ليقربها منه حتى تتأبط ذراعه لكنه شعر بارتجافة جسدها و رفضها لتلك اللمسة حتى و إن كانت على الملأ و بحقه بها شرعا و قانونا ، فهمس لها :

_أنا عارف إنك رافضه بمسكة إيدي، لكن غصب عني، أنا آسف ما فيش عريس و عروسه بيمشوا بعيد عن بعض.

أومأت برأسها دليلا على الموافقه و تأبطت ذراعه ،وصلا إلى مكان القاعة وكانت منقسمة لقاعتين إحداهما للسيدات و الأخرى للرجال و هذا أشعرها ببعض الراحة ولو لوقت محدود ،

انتهى الحفل و ودعت عائلة إبراهيم الخولي ابنتهم و احتضنتها رغد التي طمأنتها بحديثها :

_ ماتخافيش أنا في ضهرك و عمري ماهسيبك كل يوم هكلمك و اطمن عليكي و هاجيلك أنا و هبة.

احتضنت هبة أختها ودموعها تنهمر على وجنتيها :

_ هتوحشيني يا حبيبتي لكن هجيلك كل شويه ،و كلها شهرين و الجامعه هتبدأ و نتقابل كل يوم.

ابتسمت سما مطمئنه لهما و لم تذرف دموعها إلا وقتما احتضنها أخوها :

ـ حبيبتي و بنتي إوعي تخافي و أنا موجود ،لو حد ضايقك هاقتله ، أخوكي عايش و بيت أبوكي موجود و إحنا خلاص عملنا اللي عاوزينه و مش هيهمنا كلام حد بعد النهاردة ، اوعى حد يغصبك على حاجه انتى مش عوزاها.

سما ببكاء :

ـ ماتخافيش عليا ، أنا أقوى من زمان بكثير وزي مانجحت وسط الظروف اللي مرينا بيها ، أوعدك إني هاكبر فوق ما تتخيل.

رأى إبراهيم دموع ابنته و إدعائها القوة فاقترب منها يربت على يدها محتضنا إياها :

ـ سامحيني يا بنتي و بكرة تعرفي إني خوفت عليكي و على إخواتك ، سامحيني يا سما.

حاولت رغد التدخل و التقليل من حدة الموقف :

ـ إيه يا جماعه كفاية بقى المكياج هيضيع و يلا ياعروسه مع السلامه.

تركت سما الجميع و اقتربت من إيهاب الذي و قف مكانه يشاهد من بعيد بينما حملت نظراته كثيرا من المعاني فهمتها سما جيدا :

ـ أنا عارفه إن حضرتك في ضهري وهتسندني قبل ما أقع ، و أوعدك إنك تفتخر بيا في يوم من الأيام وتقول البنت دي تلميذتي.

ربت إيهاب على يدها بينما ارتسمت ابتسامة ثقه وافتخار بهذه الفتاه الصغيرة سنا و الكبيرة عقلا مجيبا إياها :

ـ أنـا واثق فيكي و في ذكائك يا سـما ومـش هاقول وقتها تلميذتي هاقول بنتي سما.

اقتربت سـعاد مودعة إيهاب و عائلة سـما ممسـكة بيد سـما معلقة إياها بيد مراد حتى يذهبا لمنزلهم.

عادت كل عائلة لمنزلها وبمنزل الشيخ محمود أضاءت الأنوار جميـع أركان المنزل كما أنارته سـما بليلتهـا الأولى به ، وكم سعدت حينما أشارت لها سعاد على غرفتها بينما تحدث محمود :

ـ دي غرفتـك يا سـما يـا بنتي ، أنا عارف إنـك رفضتي تيجي تشـوفيها قبل كده لكن و اللّه العظيم وده قسـم يحاسبني عليه ربنـا إن مـن بعد مـا أختك و السـت رغـد دخلوها ووضعـوا فيها ملابسـك وخصوصياتـك أنـا قفلتهـا بمفتـاح و أهو هسـلمهولك دلوقتي و مافيش حد دخلها قبلك غيرهم.

ـشكرا ياعمي لحضرتك و لحفاظك على و عدك ليا.

كالعادة تدخلت سعاد في الحديث :

ـ يعنـي يـا بنتي ربنـا مش هيهديكي و تسـامحي و تعيشـوا حياتكم طبيعي.

و قبـل أن تجيـب سـما جاءتها إجابة مراد ناسـفة لكل أحلام سعاد :

ـ لا يا أمي حتى لو سـما سـامحتني ، أنا مش هسامح نفسي ، و أنـا يا بنت النـاس اطمني مش هقرب منـك و لا أضايقك أبدا ،

لكن ليا رجاء عندك.

انتبهت سما لحديثه و استعدت لإجابته إن لم يعجبها رجاءه:

ـ اتفضل.

ـ انتي دلوقتي مراتي و اسمك على اسمي، حتى لو مافيش بينا حاجه فالناس متعرفش كده اتمنى تحافظي على اسمي، ويا ريت لو احتجتي أي حاجه فأنا أولى الناس بيكي وبمطالبك كلها، لكن لو على أي حقوق ليا فأنا بعفيكي منها.

زفرت سما بحنق:

ـ أولا، لوعلى الحفاظ على اسمك فده إنت مش محتاج تأكد عليه، أما بالنسبه لطلباتي فبعد إذن عمي محمود و الدي عمل وديعه باسمي و أنا إن شاء الله هحاول أصرف على تعليمي من الربح بتاعها، هو يمكن مش هيكون كبير لكن بأمر الله هيكفيني.

رد محمود و قد ارتسم الضيق على وجهه:

ـ لا يا سما يابنتي انتي مسؤوله مننا، و أنا ليا كلام مع و الدك لأنه كده و باللي عمله ده بيهيني أنا شخصيا و انتي مترضيهاش لعمك محمود.

تنهدت سعاد:

ـ ربنا يهديلكم الأحوال، تعالي يا بنتي أساعدك و أفكلك الطرحه علشان ترتاحي.

❖ ❖ ❖

انقضت الليلة الأولى لسما ، و انقضت بعدها أيام و ليالي عدة ، تتعامل معهم بحدود و يعاملونها كابنتهم ، لم تيأس سعاد من محاولاتها للم شمل و لدها و زوجته ، بينما سما لم تعرها اهتماما في ذلك الأمر ، و لكنها دائما ما كانت تساعدها بالأعمال المنزلية ، و طلبت من الشيخ محمود بإحدى المرات التي استمعت له فيها و هو يتلو القرآن الكريم أن يساعدها على حفظه و سر الشيخ محمود أيما سرور بذلك و استجاب لطلبها وكانت دائما تذهله حين يطلب منها حفظ جزء من أجزاء القرآن و يجدها حفظته بأكمله في وقت قياسي وبإتقان تحسد عليه.

مرت الشهور و بدأ العام الدراسي و التحقت سما بكلية الحقوق و اليوم ستتلقى أولى محاضراتها.

ذهبت لكليتها و قامت بنقل جدول محاضراتها و دخلت للمدرج حيث ستتلقى أول محاضراتها وكانت من أول الواصلين للمدرج و بداخلها إصرار و عزيمه على النجاح ، جلست بأول صف حتى لايؤثر على استماعها أحد الطلبة المستهترين ، لم تكن تعلم أن دكتور هذه المادة من أقوى الشخصيات بين زملائة ، ولا يستطيع أحد الطلبة أن يرمش له جفن أثناء إلقائة المحاضرة.

بدأ الطلاب بالدلوف للقاعة وبالموعد المحدد دلف الدكتور و عيناه تجوبان القاعة بأكملها وبدأ بتعريف نفسه لطلابه و طالباته:

ـ السلام عليكم ، أنا الدكتور روجان رضوان اللي هدرس لكم مادة القانون الجنائي و هنكون مع بعض الأربع سنين اللي جايين بإذن الله ، فياريت بعد المحاضرة تسألوا عني كويس

زملائكم اللي سبقوكم لإني من بكرة هيكون في تعامل تاني خالص، نبدأ المحاضرة علشان ماضيعش وقتكم.

بدأ الدكتور بالقاء المحاضرة، وسما تدون كل كلمة وحرف بمنتهي الدقه و لم ترفع و جهها من دفتر التدوين حتى لفت انتباهه هذه الطالبه و قررأن يفتتح بها العام الدراسي و يؤنبها على عدم انتباهها وإنصاتها له فصاح قائلا:

ـ انتي يا آنسه ياللي بتكتبي و أنا بشرح.

نظر له الجميع و كُل يعتقد أنه يحدثه حتى انتبهت سما أنه يحدثها هي.

فأشارت لنفسها و هي تقول:

ـ حضرتك بتكلمني أنا.

و لكنها لم تجد رد فروجان لم يتخيل و لا حتى بأجمل أحلامه أنه قد يقابل سماه التي سرقت من عينيه النوم من و قت أن رآها بعقد قران أختها و ابن عمه، ظل شاردا حتى يأست من رده عليها و جلست كما كانت فحاول إستعادة رباطة جأشة و السيطرة على مشاعره:

ـ انتي يا آنسه بتكتبي إيه وأنا باشرح.

سما بتلقائيه:

ـ بكتب شرح حضرتك علشان أقدر أذاكره.

ـ لا من فضلك انتبهي للشرح وذاكري من الكتاب.

ـ حاضر يادكتور، أنا أسفه.

ـ ما فيش مشكله، اتفضلي اقعدي.

جلست سما و لم تنتبه أنه ابن اخ إيهاب و حتى إن كانت تعلم فلن يفرق معها شيء، ستثبت نفسها دون اللجوء لمعاونة من أحد.

انتهت المحاضرة و خرجت سما من القاعة لتجد روجان واقفا تلتف حوله الطالبات و لكنه لم يرى غيرها من بينهن، أنه يراها هي فقط.

أكملت بقيه محاضرتها و عادت للمنزل لتجد سعاد و محمود بانتظارها على مائدة الطعام فهم لن يتناولوه حتى تأتي فهذا ما اعتادوا عليه بالفترة الأخيرة خاصة بعد أن اقتربت منهما و

تعرفا على طبيعة شخصيتها الهادئة فهما قد أحباها كابنتهم.

سلام عليكم.. قالتها سما.

ردا سويا:

ـ وعليكم السلام و رحمة الله و بركاته.

ابتسمت سعاد مربتة على كتفها:

ـ حمد الله على السلامه ياحبيبتي، تعالى اتغدى زمانك جوعتي أوي.

ـ آه و الله فعلا المحاضرات كانت كتير و كلها ورا بعضها.

ابتسم لها محمود:

ـ تعالي يابنتي كلي و احكيلنا عملتي إيه.

جلست سما :

ـ الحمد لله كله تمام، ماعدا دكتور واحد اعترض اني بكتب كل حاجه وراه، و عاوزني اشتري كتابه.

ـ اشتريه ياحبيبتي، خدي الفلوس و اشتريه بكرة، أنا أعرف إن الدكاترة بيسقطوا اللي مش بيشتروا الكتب بتاعتهم.

تعجبت سعاد :

ـ منهم لله يعني البنيه تبقى مذاكرة و علشان الفلوس يعملوا كده.

رفعت سما كتفيها و أنزلتهما :

ـ مش عارفة و الله هو فعلا كده و إلا لاء، أنا هاشتريه بكرة إن شاء الله.

❖ ❖ ❖

الفصل الرابع عشر

مرت الأيام سـريعا و سـما تحضر جميع محاضراتها و تسـهر الليالي لمراجعه جميع المواد الدراسـية ، و لكن دائما ماكانت تفضل مـادة القانون الجنائي، فأسـتاذها جعلها تحـب المادة من شدة إتقانه لشرحها.

بـدأت امتحانات نهاية العام الأول.. و إجتازتها سـما جميعها ، كانـت دائمـا تلجأ لإيهاب لشـرح ما يقف أمامهـا و لكن طوال العـام الدراسـي لم تتعرف علـى صلة القرابة بيـن روجان و إيهاب حتى التقت برايان في اليوم الأخير للامتحانات ووقفت معه تلقي عليه التحيه و بادرها قائلا :

ـ إزيك يا سما ، عامله إيه في الحقوق.

ـ الحمد لله بخير و خلاص النهاردة آخر يوم امتحانات، إنت بتعمل إيه في مجمع النظري.

ـ جـاي لخطيبتـي و بنت عمي روجين مش انتي تعرفيها !!هي معاكم هنا في المجمع لكن هي تجارة انجليزي.

ـ اعتقد هما عندهم إمتحانات في مبنى آداب.

ـ هسـأل أخوها ، أكيد عارف ماهو دكتور معاكم هنا في حقوق، انتي متعرفهوش وإلا ايه ؟!.

ـ لا معرفش إن في حد من قرايبكم هنا أصلا.

ـ سيادة المستشار بايعك أوي كده! و هو عارف إن ابن أخوه

غلس و لو و قعتي تحت إيده مش هيرحمك.

ابتسمت سما بهدوء على حديثه المرح فدائما ما يضفى جوا من المرح ، أثناء حديثهما وجدت رايان يشير لأحد خلفهما أن يأتي، و حينما استدارت لترى لمن يشير وجدته دكتور روجان والذي واتته الفرصة أخيرا للتعرف عليها عائليا.

وجه روجان السؤال لرايان:

ـ انت بتعمل إيه هنا ؟

ـ جاي لأختك، مصممه تخرج، بتقول خلصت امتحانات و هي حقها تتفسح.

ـ أيوه يعني و اقف مع الطالبة بتاعتي ليه.

ـ آه صحيح أنا معرفتكوش ببعض، دي سما ، و ده الدكتور روجان، سما تبقى أخت هبة مرات رامين، و روجان ابن عمي يا سما.

روجان بابتسامه:

ـ أهلا و سهلا يا آنسه سما.

ـ أهلا بحضرتك يا دكتور، عن إذنكم علشان متأخرش.

انصرفت سما و تركت روجان يزداد حيرة فكيف لم تعترض على كلمة آنسه بينما أخبره ابن عمه أنها متزوجة حين سأله عنها بعد عقد القران، فقرر محاصرة رايان و معرفة السر الذي يخيفه عنه و لكن رايان لم يجيبه و حينما أشفق عليه أجابه:

ـ إسال رورو هي الوحيده اللي هتفيدك.

علم روجان أن إجابة اللغز عند زوجة عمه و التي اعتاد الحديث معها كصديقة فهي أقرب له ولاخته من والدتهم المحبة للمظاهر و الحفلات و التجمعات النسائية.

التقى رايان بمعشوقته و اصطحابها للتنزه و دعوة على الغذاء بينما عادت سما للمنزل كعادتها اليومية واليوم قررت أن تخرج لزيارة أختها بمنزلها فمنذ زواجها من رامين لم تقم بزيارتها غير مرة و احده فقط، دلفت للمنزل لتجد سعاد تجلس بمفردها، ألقت التحيه عليها، ردت سعاد

التحية لكن بها شيء مختلف اليوم فهي تجلس هادئة على غيرالعادة، فجلست جوارها متسائلة:

ـطنط هو حضرتك تعبانه وإلا حاجه؟

ابتسمت لها سعاد:

ـلا ياحبيبتي أنا كويسه الحمد لله، انتي طمنيني عليكي عملتي إيه في الامتحانات.

ـالحمد لله جاوبت كويس.

ـ طيب يا حبيبتي الحمد لله ربنا يوفقك، جعانه أحضرلك حاجه تآكليها تصبيره لغاية عمك محمود مايرجع و نتغدى سوا.

ـ لاهاستنى لحد ما يرجع، بس أنا حاسه إن حضرتك فيكي حاجه و مخبيه عليا، مش دايما بتقولي إني زي بنتك قوليلي مالك؟.

ـ و أكثر من بنتي كمان يا سما و الله، ربنا يعلم أنا حبيتك أد إيه لما قربت منك، أنا يابنتي قلقانة على عمك الشيخ

محمود ، صحتـه اليوميـن دول مـش حلـوة ، و كل مـا أقوله روح لدكتور يقولي أنا زي الفل.

ربتت سما على ظهرها :

ـ و لا يهمـك يـا سـت الكل ،أنـا هاقنعـه ، أنا كنـت ناوية أسـتأذنه النهاردة عشـان أزور هبة في بيتها ، وأنا عندها هسـأل رامين جوزها على دكتور كويس ،و بكره إن شـاء الله أحجز له وأروح أنا و هو.

احتضنتها سعاد بحب:

ـ ألف شـكر يا بنتي ، ربنا يبارك فيكي و ما يحرمني منك أبدا.

بادلتها سما الحضن بمحبه :

ـ ماينفعش حضرتك تشـكريني عمى محمود في مقام بابا بالظبط ، ربنا يباركلنا في صحته.

عـاد محمـود لمنزلـه و لاحظـت عليـه سـما الإعياء الشـديد و لكنـه يقـاوم و يتظاهـر بالقـوة فقررت أن تفعل مـا اتفقت مع سعاد عليه ، وما أن بدأوا بتناول الطعام ، حتى استأذنت منه سما بالذهاب لزيارة أختها و لم يمانع فهو يثق بأخلاقها.

أنهـت طعامهـا على عجـل ، و قامـت بجمع الأطبـاق ثم بدلت ملابسها و إنصرفت ذاهبة لأختها.

عاد مراد للمنزل كي يسـتريح قليلا من مشـقة العمل فطوال العـام يعمـل طوال النهـار و يعود بوقت متأخر حتى لا تراه سـما و يسبب لها الضيق.

استقبلته والدته:

ـ إيـه ياقلب أمك، أخيرا جيت البيت بدري، كل يوم ترجع و إحنا نايمين و تمشي قبل ما النهار يشقشق.

ابتسم لها مراد لكي لا تحزن علي حاله:

ـ معلـش يـا ماما عاوز أسـيب سـما على راحتها، أنا شـايف إنهـا اتعودت على وجودها معاكم، لكن لـو أنا موجود هتفضل حابسه نفسها في أوضتها.

تنهدت سعاد:

ـ يـاااه يامراد، إنـت اتغيـرت أوي يـا ابني، من إمتـى بتعمل حساب لحد؟ إنت حبيتها يامراد ؟

وضع مراد يده على قلبه:

يا ريتني حبيتها يا أمي، أنا عشـقتها مش حبيتها بس، نفسـي و منى عيني تسامحني من نفسها مش عاوز أضغط عليها، بحاول أدور على شغل يليق بيها، علشان يوم ماتوافق ترتبط بيا من قلبها هاعملهـا فـرح جديـد و نبدأ حيـاه جديده، أنا باشـتغل و أشـيل القـرش علـى القرش عشـان سـاعتها هاجيبلها شـقه لوحدها، نفسي تفتخر بيا زي أختها ما بتفتخر بجوزها.

ترقرقت الدموع بعيني سعاد و احتضنته:

ـ ربنـا يهديهـا و يليـن قلبهـا يـا ابني، هـي بنت حـلال أوي يا مراد، يمكـن أكـون جيت عليها فـي الأول بس ده علشـان إنت ابني، آه كنت عارفة انك غلطان لكن ربنا غفور رحيم.

ـ أنـا مش زعـلان منها يا أمـي، بالعكس كنـت هزعل لو

وافقت تعيش حياتها معايا من غير إحساس و لا مشاعر، أنا حبيت قلبها وعشقت روحها.

أسرت له سعاد بتعجبها:

ـهو انت بتشوفها يابني ؟أومال لو عاشرتها زينا هتعمل إيه؟ دي ملاك ماشي على الأرض، ربنا يحميها و يراضيها و يهديها ليك.

لمعت الدموع بعينيه، لكنه غلف حديثه بالمرح لكي لا يثير شفقة أمه:

ـلو اقولك على سر هتحفظية يا سعاد و إلا الشعب كله هيعرفه.

قهقهت سعاد:

ـ يوه جاتك إيه يامراد ضحكتني و أنا ماليش مزاج، بس قول السر و أوعدك إنه في بير.

ضيق مراد عيناه و هز رأسه يمينا و يسارا:

ـ ربنا يستر من البير ده مايكونش منفد على البحر (و ضحك لكنها لم تكن ضحكة صافيه بل كانت مشوبة بالحزن) انتي عارفة ياما أنا كل يوم بانزل وأفضل قاعد في العربيه لحد ما سما تنزل و أمشى وراها من غير ماتشوفني و اطمن عليها و نفس الموضوع بكرره و هي راجعه وأوقات بين المحاضرات أروح الجامعه أشوفها من بعيد وهي قاعده مع أختها أو صحباتها، تعالي اقعدي جنبي ياسوسو أفرجك على حاجه.

جلست سعاد بجوارة تنظر لذلك الهاتف المحمول بيده وهو

يعبث بشاشته حتى وصل الي ما يريد قائلا:

ـ أهو يا ستي لقيته ده ملف بحاله كله صور لسما بصي.

نظرت سعاد و هو يقلب لها الصور كانت صورا لسما و هي تنزل من المنزل، و هي تستقل المواصلات، و هي تدخل للجامعه، و هي تجلس مع زملائها، و هي تأكل و هي تشرب.

نظرت لولدها و الشفقة على حاله تطل من عينيها و تساءلت:

ـ إنت اللي مصورها كده يامراد؟!!.

ـ أيوا طبعا، أومال هجيب حد يصور مراتي.

ـ ربنا يهديها ليك يابني و يحنن قلبها عليك، ده أنت بتتعذب يا مراد.

ـ بالله عليكي يا ماما ما تجيبي سيرة لحد، مش عاوز أي حد يعرف أي حاجه عن الموضوع دا و خصوصا سما.

ـ اطمن يابني ما ينفعش أقول حاجه لحد.

❖ ❖ ❖

وبمنزل رامين رضوان وصلت سما و استقبلتها أختها هبه:

ـ سمسمه الجميله أخيرا جيتي تقعدي معايا شويه.

ـ أعمل إيه طيب ياهوبا، مش لما خلصت إمتحانات، الحقوق مش سهله و إنتي عارفه أنا لا بآخد دروس خصوصية و لا مجموعات تقوية.

ـ ليه ياحبيبتي لو محتاجه أي حاجه أنا موجوده، رامين بيديني مصروف خاص بيا مش بصرف منه حاجه ومعايا فلوس

إوعي تترددي تقوليلي.

ـ لا يا هبة ، أنا مش هتعلم على حساب جوزك ، كمان كفاية اللي ماما رغد عملته معايا قبل جوازي و الحاجات اللي اشترتها و اتفاجئت بيها وقت ما دخلت بيت عمي محمود.

ـ ماما رغد دي مافيش منها ، عاوزة أقولك إن نفس اللي عملته معاكي عملته معايا ، و لحد دلوقتي كل ما تمشى في أي مكان و تشوف أي حاجه تعجبها ليا تشتريها ، و من و قت ما عرفت اني حامل وهي كل يوم تيجي تجيبلي الأكل و العصائر الفريش ، ولو شوفتي جايبة إيه للبيبي تعالي أفرجك.

تمسكت هبه بيد أختها مصطحبه إياها إلى الغرفة التي خصصتها هي وزوجها للأطفال لتجد سما الغرفة جهزت بالكامل لاستقبال المولود ومازالت اختها بشهورها الأولى ، ولكن أسعدها كثيرا اهتمام عائلة زوجها بها و ليس بجديد عليهم فدائما ماغمروها هي نفسها باهتمامهم.

أفاقت سما من شرودها على حديث هبة :

ـ و انتي مش ناويه ربنا يهديكي و تسامحي مراد ، أنا ملاحظه إنك عايشة معاهم مرتاحه وطنط سعاد اتغيرت معاكي و مافيش مرة لقيتك بتشتكي من مراد فيها.

ارتسمت ملامح الغضب على وجه سما :

ـ اسمعيني ياهبة علشان ماتفتحيش الموضوع ده تاني....

مراد لو اتغير فده لنفسه و طنط سعاد وعمي محمود ربنا يعلم أنا بعاملهم إزاي و مراعيه ربنا فيهم ، لكن عمري ماهنسى إن

الإنسان ده كان سبب في ضياع شرفي و موت أمي مقهوره عليا.

ـ ربنا بيسامح يا سما ، احنا يا بشر مش هنسامح، و انتي طيبه و قلبك حنين و كبير.

أطلقت سما من صدرها زفيرا حملته وجعها الذي لا ينضب:

ـ ربنا بيسامح علشان دة ربنا ، لكن زي ما انتي قولتي إحنا بشر مش ملايكه ، و جوانا خير وشر ، حب و كرة ، عندنا كل حاجه وعكسها ، و أنا للأسف عمري ماهقدر انسى و لا أسامح ، ولو على قلبي ، فأنا قلبي مات يوم ماشفت أمي بتقع قدامي من قهرتها عليا.

ـ ماما اللّه يرحمها كانت مريضه و ده عمرها ، لكن انتي لسه صغيرة و قدامك العمر لسه طويل إن شاء اللّه ، عيشي حياتك و حاولي تدي نفسك فرصة.

سما و هي تحاول تغير مسار الحديث:

ـ سيبك مني أنا في موضوع عاوزة أكلمك فيه.

ـ خير يا حبيبتي إيه الموضوع ده.

ـ أخوكي محمد سنه كبر و لازم يتجوز و هو تعب علشان احنا دلوقتي كل و احده في بيت جوزها وهوعايش مع بابا لوحدهم ، لو شوفنا عروسه بنت حلال تقبل تعيش مع بابا و تعتبره زي و الدها.

ـ فعلا معاكي حق مش عارفة إزاي مفكرتش في الموضوع ده قبل كده.

ـ عادي ياحبيبتي انتي انشغلتي بين دراستك و بيتك وجوزك

لكن أنا عندي و قت أفكر، وأنا وانتي و احد ياهوبا.

نظرت هبة لأختها الصغرى و التي شعرت و كأنها كبرت قبل الأوان و أماءت برأسها توافقها الرأي، قضت الأختان و قتا ممتعا استعادتا به ذكرياتهما.

ثم عادت سما إلي منزل الشيخ محمود لتجده يجلس متكئا على إحدى الوسادات و تظهر عليه علامات الإرهاق، دخلت ملقية السلام.

ـ سلام عليكم.

ابتسم لها الشيخ محمود:

ـ وعليكم السلام و رحمة الله وبركاته، حمد الله على سلامتك يا بنتي.

ـ تسلم يا عمي..طمني حضرتك عامل إيه.

ـ الحمد لله يابنتي.

سما معترضة:

ـ لا ياعمي أنا ملاحظة إن حضرتك تعبان، و كلمت رامين جوز هبة و هنروحلوا بكرة أنا وحضرتك ليه هيعرضك على دكتور زميله يكشف عليك.

اعترض الشيخ محمود:

ـ لا ياسما يا بنتي أنا مش بحب الدكاترة و أنا كويس قدامك أهو.

ليتحدث و نبرة صوته تنم عن الإرهاق الشديد، و مقاومة الألم.

حتى قاطعته سعاد و التي أتت عند سماع حديثهم:

ـ مافيش لا و هتروح مع سما بكرة للدكتور.

هب و اقفا معترضا على حديثهما متجها لغرفته و تبعتة زوجته مصـرة على حديثها و قبل أن يلتف لهـا رافضا الإنصات لحديثها مادت به الأرض وسقط مصطدما بالأرضية.

ارتفعت صرخات سعاد مستنجده بسما:

ـ الحقيني ياسما.... يا محمود...رد عليا يامحمود.

انتفضـت سـما فـور سـماعها صرخـات سـعاد و هرعـت باتجـاه غرفتهـم و دلفت إليها لتجد جسـد الشـيخ محمود ملقى أرضا ،وسعاد المجاورة له تبكي وتصرخ به أن يجيبها...

شردت سما لثواني مستعيده مشهد وفاة والدتها...

أدمى جرح قلبها مرة أخرى حين تخيلت للحظه أن هذا الرجل الحنـون و الـذي تعتبـرة درع الامـان لهـا من الممكـن أن يفارق الحياه.... و استعادت وعيها و عادت للواقع بفعل صوت نداء سعاد لها:

ـ الحقيني ياسـما... عمك محمود هيضيع مننا...اتصلى على مراد يجي يآخده ونروح مستشفى

سما بقلة حيله:

ـأنا مش عارفة رقمه.

ـ موجود في تليفوني.. يلا بسرعه يا بنتي كلمية.

ذهبت سما تبحث عن هاتف سعاد و ضغطت على زر الاتصال

بعـد أن وجدت رقم مراد مدون بالقائمـة... لم تنتظر كثيرا حتى أجابها.

ـ اطمني يا ماما أنا كويس.

سما و هي تشعر بارتجافه بكل جزء منجسدها:

ـ أنا سما مش و الدتك.

مراد و قد احتله القلق:

ـ فيه إيه يا سما ؟! أمي جرالها حاجه، أبويا كويس؟

ـ مـن فضلـك تعالي بسـرعه عمـي محمود وقـع على الأرض مغمى عليه.

ـ استرها يا رب، حاضر، حاضر، دقايق و أكون عندكم.

أغلقـت سـما الهاتف فهي لا تريد أن تسـمع صوتـه أكثر من ذلـك و عادت لغرفة محمود و سـعاد مرة أخـرى و لكنها حاولت هذه المرة السيطرة على مشاعرها وأن تقدم لهم يد العون.

فقررت محادثه زوج أختها فهو طبيب و يسـتطيع مسـاعدتهم وبالفعـل أمسـكت بهاتفهـا المحمـول عابثـه به و انتظـرت الرد ليأتيها صوت رامين:

ـ سلام عليكم.. إزيك يا سما.

ـ الحمد لله يادكتور.

ـ على فكرة أنا كلمتلك دكتور زميلي وهو منتظركمبكرة إن شاء الله.

قاطعته:

ـ بـس عمـي محمود تعـب فجأه و أغمـى عليه و مـش عارفه أعمل إيه.

رامين بلهفة و قلق فالشيخ محمود رجل طيب يحظى باحترامهم:

ـ طيب...طيـب إديني عنوان البيت و هابعتلك عربية إسـعاف تنقله للمستشفى فورا.

أخبرتـه سـما عن عنوان المنـزل و عن اسـم المريض كاملا وأغلقت الهاتف.

❖ ❖ ❖

الفصل الخامس عشر

دقائق ووصل مراد إلى منزله و لحقته سيارة الإسعاف قام بنقل و الده للسيارة بمعاونة المسعفين و أصرت سما على مرافقته داخل سيارة الإسعاف بينما لحقه مراد و سعاد مستقلين سيارة مراد.

ظلت سما متمسكه بيد الشيخ محمود و هو راقد على السرير النقال داخل سيارة الاسعاف و نظراتها محملة بالرجاء ألا يتركها فهو سندها و حماها و لن تتخيل أن تكمل حياتها بذلك المنزل في حالة عدم و جوده.

وصلت السيارة إلى المستشفى، و استقبله الأطباء بناءا على توصية من رامين و الذي استبق زملائة الأطباء محاولا طمأنة سما ، التي لاحظ توترها حتى كادت تفقد وعيها هي الأخرى.

قام الأطباء بالكشف عليه و إسعافة و وضعه تحت الرعاية الطبية لمدة أربع و عشرون ساعة ، وقررت سما ألا تتركه وبالرغم من محاولات رامين بإقناعها أن تذهب و تعود بالغدأجابته بحزم:

ـ لا أنا مع عمي محمود و مش همشي من هنا و لا هرجع البيت غير معاه.

ـ يا سما ده تحت الرعاية ، و مش هتقدري تشوفيه النهاردة خالص.

انهارت حصون سما و قوتها و انهمرت دموعها مترجيه رامين

أن يتركها معه، كل هذا على مرئى و مسمع من مراد وسعاد التي لم تكن حالتها أحسن حال من سما بينما مراد كان على يقين أن محبوبته تخاف العيش معه دون حماية والده، طعنه هذا الخاطر، ألهذا الحد ترفضه آه يا سما قلبي، يا عشقى وولعي، ليتني نلت الإعدام و لا تقتلي قلبي برفضك هذا.

تفهم رامين أيضا حالتها و قرر مساعدتها و إبقائها بالقرب من محمود الراقد بغرفة الرعاية وجسده متصل بالأسلاك الطبية.

مرت الأزمه على خير و استعاد محمود صحته و عاد إلى المنزل بحمد الله و سلامته وعاد الجميع ممارسة أعمالة اليومية و حياته الخاصة بشكل طبيعي.

❖ ❖ ❖

مرت خمس سنوات بحلوها و مرها و روتينها على الجميع، وسما تتفوق في كل عام ومراد ينحت الصخر نحتا ويحاول كل المحاولات ليرفع من مكانته الإجتماعية حتى يصبح زوجا يليق بسما ....

واليوم وبعد عناء سنوات تسلم مراد وظيفته الجديدة كموظف اداري بالمركز الثقافي الروسي حيث إنه درس الاقتصاد و العلوم السياسية، لم يكن عناءة في الحصول على وظيفة محترمه هو كل طموحه بالحياة وإنما كثيرا ماتمنى أن تشفق زوجته على حالة، فقد عاني الكثير والكثير، قدم كثيرا من التنازلات خلال هذه السنوات التي مرت على زواجهما حاول مرات عدة التقرب لها بعد أن أصبح غرامها يحتل كل ذرة بكيانه، سقط

صريعا أمام ما لمسه من أخلاقها وتواضعها و أدبها و معاملتها الطيبة لوالداه و اهتمامها بكل تفصيلة بحياتهما ، لن يكذب إذا اعترف لنفسه و لوالديه ولها أيضا أنه يعشقها و أنه نادم أشد الندم على فعلته ، رفضها الدائم له ولمحاولاته أن يبدأ حياة جديده معها ، كم من ليالى بات يشعر وكأنها تجاوره فراشه وتبادله مشاعره وأحساسيسه ، كثيرا ماتخيلها بين ذراعيه تختبئ خجله منه بأحضانه ، وما كان يوقظه غير حبات الماء التي تكسى جسده المتصبب عرقا من شدة إنفعالاته ، لقد أرهقت رجولته حقا.

سعى كثيرا لينول رضاها على زواجهم الشرعي، الذي وافقت عليه تنفيذا لرغبة و الدها وحماية لمستقبل أخيها ، أما اليوم و بعد وظيفته المحترمة و مع شعوره بأنه الآن لم يعد ذلك السائق الذي لايليق بأستاذة القانون بجامعة الاسكندرية ، قرر أن يفاجئها بزيارته لها بمقر عملها حيث عملت كمدرس مساعد لمادة القانون الجنائي بكلية الحقوق بعد أن تفوقت بجميع سنوات الدراسه الأربع و حصلت على درجة امتياز مع مرتبة الشرف ، ابتاع لها باقة من الزهور الحمراء مغلقة بقماش من الشيفون الأبيض مع شريط من الستان الذهبي و قلبة يرقص فرحا متأملا أن يبدأ معها حياه هادئة و يغلقا صفحة الماضي ، متناسيان ماحدث به.

وصل إلى الحرم الجامعي و قبل أن يتوجه للمبنى المخصص بمجمع الكليات لكلية الحقوق وبينما كان يجول بنظرة بالمكان و الإبتسامة لم تفارق وجهه وجدها....

وجد زوجته و حبيبتة و لكن تجمدت بسمته و قتلت فرحته و

قف كمن شلت أطرافه بعد ان عاش طيلة طريقة يرسم أحلاما و يتخيل كم ستكون سعيدة بمفاجأته، توهم كثيرا حين تخيلها تلتقط منه باقة الزهور تشم رائحتها و تعانقة إنه يراها الآن واقفة و تبتسم...

نفض رأسه رافضا وصفة لما تفعله بالابتسام فقط، فهي تقهقه كما لم يراها من قبل حتى مع والده أو أخيها و أختها فمنذ ما حدث اختفت ضحكتها ، وأكثر ما كانت تفعله هو الابتسامه و لكن يا ترى من هذا الذي أخرج ضحكتها من ذلك الكهف الذي سكنته ؟.

ظل عقلة يراوده بالاقتراب منها و معرفة هوية الشخص المتحدثة معه، و قلبة يمنعه حتى لايكسر من جديد ، انتصر عقلة و ذهب إليها متحدثا :

ـ صباح الخير يا أستاذه سما.

تفاجأت سما من وجوده بالجامعه، فهو طوال سنوات زواجهم لم يفعلها ، حتى و قتما كانت تدرس الحقوق لم تتذكر أنه أوصلها يوما ، قطبت حاجبيها و ارتسمت على وجهها ابتسامة مهزوزه و ظهرت عليها علامات الارتباك أكثر حينما تابع حديثه :

ـ إيه مش هتعرفينا على بعض ؟

فأجابت مدعية الثقة و محاولة اخفاء ارتباكها مشيرة لمن يقف جوارها :

ـ دكتور روجان رضوان المشرف على رسالة الماجستير اللي باحضرها (ثم أشارت بيدها الأخرى معرفة أستاذها به) وده

مراد جوزي يا دكتور.

صافح روجان مراد و استأذن منصرفا وياليته لم ينصرف فقد اندلع البركان الهادىء المدفون بكل منهما و ابتدأته سما حين نظرت لباقة الزهور التي حملها مراد ثم قالت:

ـ إيه اللي جابك الكلية وجايبلي ورد ، إيه شغل المراهقين ده ، إنت قاصد تحرجني قدام الطلبة بتوعي.

تقبل مراد حديثها اللاذع بكثير من الألم و كسرة القلب و اعتلاه الغضب و لم يستطع أن يمتلك زمام تعقله فامتدت يدة جاذبة إياها من ذراعها و بمنتهى الثبات وبنبرة هادئة تحمل كثيرا من الحزم والقوة التي لم تراها منه من قبل قائلا:

ـ اتفضلي امشي معايا لينا بيت نتكلم فيه بدل ما اعرفك الإحراج بيكون إزاي قدام الطلبه بتوعك يا أستاذه.

ابتلعت سما نبرته المستهزئة وازدردت لعابها و سايرته حتى لا تفقد هيبتها بعملها فقد استشعرت صدق حديثه و أنه من الممكن أن يفعلها و يقوم بإحراجها ، أوقف سيارة الأجرة و ركبا معا ولم يوجه أحدهما للآخر أي حديث ، حتى وصلا أمام منزل عائلتة ، صعدت الدرج متقدمه إياه.

فور دخولها و إغلاقة لباب المنزل انفجرت به صارخه:

ـ إنت إيه اللي جابك الكلية ؟ فهمني عاوز مني إيه؟.

لم تكن ثورتها شيئا يذكر أمام ثورته العارمة و انكسار قلبه فصاح بأعلى صوته:

ـ حبيت أفرحك، كان عندي أمل من جديد ، لكن للأسف

لقيتـك بتبدأي لوحـدك ضحكتك اللي عمري ماشفتها ، شـفتها النهاردة بس لواحد تاني واحد غيري يا مدام سـما ، و احد غيري غيـر جوزك اللي مش قادرة تنسـيله غلطة من خمس سـنين و هو بيحاول كل يوم وكل دقيقه يعوضك عنها و يغير نظرة الاشمئزاز اللي بيشوفها في عنيكي.

خرج و الداه مسـرعين على صياحهم و حاولـوا احتواء الحوار بينهم و لكنهم فضلوا المتابعه دون تدخل بعد أن حاولوا كثيرا و لم يجدي حديثهم مع سما بشيء.

تلألأت دموع سما على و جنتيها بالرغم من قوتها الواضحة من حديثها و أكملت صياحها وردت عليه قائلة :

ـ إنت معتبر إن اللي عملته معايا من خمس سنين كان غلطه ، إنت عارف إنت عملت إيه و إلا أفكرك و إوعى تكون فاكر إن و رقة الجواز اللي ربطت بيني و بينك دي بتديلك حق فيا ، الشـرع بيقول الجواز شـرطه الإيجاب و القبول و أنا و لا أجبت و لا قبلت بيك زوجا ثم وجهت حديثها لوالده متابعة :

ـ صح و إلا أنا غلطانه يا عمي.

أجابها الشيخ محمود وهو يزفر أنفاسه متنهدا :

ـ صـح يا سـما يـا بنتي وده السـبب اللي خلانـي أوافقك إنك تقعـدي فـي أوضـه لوحدك ، و كان أملـي في الله تقبليـة و ربنا يجمعكـوا علـى خير ، خصوصـا إني شـوفت أد إيه ابنـي اتغير علشانك ، وحاول أد إيه يعوضك عن اللي حصل.

سـما و قـد تحولـت قوتهـا لضعـف وارتفعـت شـهقاتها وزاد

بكائها ، وارتسمت على ثغرها

ابتسامه كاذبة:

ـ اتغير إيه و حاول يعوضني عن إيه ، عن شرفي اللي خده غصب ، وإلا عن أمي اللي ماتت بحسرتها عليا.

وجهت نظرها وحديثها مرة أخرى لمراد قائلة:

ـ إنت عارف أنا و إنت عاملين زي إيه؟ زي إسرائيل و مصر ، اسرائيل احتلت مصر وخرجت منها عملنا معاهدة سلام صحيح ، لكن اللي في القلب في القلب ، تفتكر عمرنا هننسى لاسرائيل احتلالها و لا دم شهدائنا في يوم من الأيام ، أهو أنا كمان رغم إني و قعت على عقد جوازنا لكن لاعمري هاقبل إنك تحتل قلبي و لا تكونلي زوج ، إنت متعصب يا مراد ، لولا إن اهلي خافوا من الفضيحه وكلام الناس كان زمانك أخدت حكم إعدام أو على الأقل عشت بقية عمرك في السجن ، لكن أنا بتوقيعي على ورقة جوازنا كتبت شهادة ميلادك مرة تانيه فياريت ماتجيش دلوقتي تطالبني بأي حقوق ليك لإن المغتصب ملوش أي حقوق في ضحيته.

وقع كلماتها كان بمثابة صدمة للجميع ، فكل هذا ما حملته بقلبها البرىء طوال فترة زواجها ألهذا الحد بغضت ارتباطهما ، كرهته كرها قويا ، لم يتوقع والداه أن تكن له كل هذا العداء ، فلقد تعاملت معهم طوال تلك الفترة معاملة طيبة و كأنها ابنتهم التي لم ينجباها ، وهم أيضًا تعاملوا معها بكثير من الحب و المودة محاولين تعويضها عن و فاة والدتها.

تبادل والداه النظرات و ألجم لسانهما ، لم يستطيعا الحديث بعد كل ماقالته سما ، التي تركتهم و اختبات تكمل ذرف عبراتها داخل غرفتها الخاصة بمنزلهم.

أما مراد فقد شحب لونه وتبدلت فرحته ليحل مكانها الأسى و الألم، لم يستطع هو الآخر مواجهتها فهو بالفعل اغتصب حياتها بأكملها ، نزل ببصرة أرضا خجلا من و الداه و ترك المنزل باكمله ، استقل سيارتة الاجرة....

و استعاد عقله كل ما حدث مع من أصبحت زوجته قبل الخمس سنوات السابقة ، مرت جميع الذكريات أمامه ، و اقعته المؤلمة ، ثم زواجه منها ، و محاولاته الواهيه من أجل إصلاح علاقتهم ، شريط سينمائي يمر أمامه ، يغيبه ، يوجه الطعنات طعنة تلو الاخرى ، خيبة تليها خيبة....

زادت سرعة السيارة لم يعد يرى أمامه الطريق و لا ازدحام المارة ولا السيارات قبض بيده على عجلة القياده حتى ابيضت مفاصلة ، لم يستمع لتنبيهات قائدي السيارات حوله فكل ما كان يسمعه قبل أن تنجرف سيارته عن الطريق مصطدمه بالفواصل الخرسانيه بين الطريقين مرتفعه عاليا لتنقلب عدة مرات و تتحطم كما تحطم جسدة و غطت الدماء جميع

وجهه لتخفي ملامحه... و لم يتذكر غير كلماتها له

(انت مغتصب يامراد و المغتصب ملوش حقوق) (إنت مغتصب....مغتصب)..

كان وقع الكلمة يرن بأذنه و يدخل في نفق أسود غائبا عن الوعي.

حاول المارة معاونته و إخراجه من السيارة مستدعين سيارة الإسعاف لنقله لإحدى المستشفيات.

ارتفع رنين الهاتف الأرضي لمنزل الشيخ محمود معلنا عن اتصال.

فأجابت سعاد :

ـ آلو سلام عليكم.

المتصل:

ـ منزل مراد محمود.

سعاد و قد ارتعب قلبها :

ـ ايوة يا بني خير.

المتصل:

ـ الأستاذ مراد عمل حادثه و هو دلوقتي في مستشفى..... و حالته صعبه جدا.

صرخات متواصله من سعاد :

ـ ابنيييييي... ابنيييييي.

خرج على إثرها كل من سما ومحمود من غرفهما.

ليتسائل محمود و قلبه ينقبض:

ـ فيه إيه يا سعاد ماله ابنك ؟

سعاد و هي تلطم وجهها بكفيها :

ـ ابني بيموت و ديني عنده اللي اتصل بيقول حالته صعبة.. ابني ضنايا هيضيع.

اقتربت منها سما محاولة تهدئتها و لكن نهرتها سعاد :

ـ ابعدي عني ، انتي السبب ، انتي اللي عملتي فيه كده ، اخدتي حقك دلوقتي ، ابني هيموت.

سما وهي تبتعد و تعود بظهرها للخلف مرتعبة :

ـ أنا عملت إيه ؟ ، ازاي بتلوميني ؟.

سعاد وهي ترفع يدها بوجه سما :

ـ لا تلوميني و لا ألومك أنا رايحه أشوف ابني ضنايا .. يلا يا محمود.

تركاها وذهبا للمشفى باحثين عن و لدهما ليجداه بغرفة العناية المركزه لا يظهر من جسده شيء فكل انش به مغطى بالشاش الأبيض ولا يظهر منه غير عيناه المحاطة بهالات زرقاء والكدمات تخفى معالم و جهه.

ألقت سعاد بجسدها فوق جسد ولدها صائحة به أن يجيبها :

ـ مراد رد عليا يا بن عمري... رد عليا يامراد...مافيش حد يستاهل تضيع نفسك علشانه...

انت عملت اللي عليك يا ضنايا... قوم يا مراد... قوم....أنا ماليش غيرك يا بني.. يا ضهري و سندي.

كانت تتحدث و تصيح ودموعها تنهمر وشهقاتها ترتفع ولم تجد منه غير لفظة بكلمة سما بصوت ضعيف يكاد يسمع للقريب منه.

اقترب منه و الده مربتا على يده المحاطه بالشاش:

ـ عاوز سما يامراد عاوزها تيجي هنا.

ظل ينادي باسمها :

ـ سما... س... م...ا.

وما كان من محمود الذي شعر أنها اللحظات الأخيرة بعمر و لده ويود أن يقضيها برفقة زوجته التي ظلمها فردت له ظلمه و آلمته حد الموت، إلا أن يطلب منها المجيء إلى المستشفى، لبت سما طلبه و أتت مسرعة و ما أن وصلت وشعر مراد بأنفاسها تقترب منه إلا و جائته صحوة الموت و فتح عيناه يشبع قلبه برؤياها متمنيا :

ـ سامحيني ياسما.. سامحيني،

وأكمل بكلمات ضعيفة...

عشت خمس سنين من عمرى وأنا بتمنى اللحظه إللى تتقبلينى فيها ، كنت بتابع كل حركه وهمسه منك، أتمنيت أشوف فى عيونك نظرة رضا وإعجاب ولو لمرة واحده، لكن دايما كنت بشوف فيهم ألم وكره وقهر..فاكره يوم عيد ميلادك....صمت يستعيد ذكرى هذا اليوم الذى عاش به أسوء لحظاته ويلتقط أنفاسه مرة أخرى ليستكمل حديثه بعد ماجهزت كل حاجه، وزينت البيت خوفت تعرفي وترفضي تحتفلي بعيد ميلادك، سيبت البيت وفضلت مستنيكي توصلي وأول مادخلتي وأنا واقف قصاد باب الشقه مستني أسمع فرحتك، وقتها قلبي كان بيرقص من فرحته وأنا سامعك بتقولي لأبويا أنه عجبك وفرحك، عارف أن كلامك وقتها كان ليه هو وأنتي فاكره

إنـه عمل كل حاجه بنفسـه لكـن فرحت وفرحـت أوي كمان أن ذوقـي عجبك...تصوري إني خوفت أدخـل وتتضايقي، ووقفت مسـتني تطفي شـمعة عيد ميـلادك، وبعدها دخلت وأنا شـايلك هديتك وزي ماتوقعت سـيبتيني ودخلتي تستخبي في أوضتك زي كل مـرة، وقتها أتمنيت أن الزمن يرجـع تاني وأهلك يقتلوني أو يحاكموني ويعدموني وهيكون أحسـن بكتير من كسر قلبي في كل دقيقه بشوفك وأنتى مراتي إللي عشقتها ومقدرش أقرب منك.

أوعدك أن ربنا آداني عمر وخرجت من هنا، هديكى حريتك وأطلقك ومش هنساكي أبدا، لكن هاعيش وأنا بتمنى اللحظه إللى نتقابل فيها تاني وأنتي راضيه بيا.

اقتربت منه سما و قد رق قلبها البرئ له وتمردت إحدى دمعاتها وسـقطت رغمـا عنها، فهو الآن بأضعف حالاته ولا يسـتحق غير الشفقه فنطقتها نابعه من قلبها:

_مسمحاك يامراد.. ربنا يقومك بالسلامه.

مراد بهمس ودمعة فراق تسقط أعلى وجنته:

_أنـا حبيتك ياسـما وكان نفسـي أقابلك مـن زمان، وأعيش عمـري وأنتـي جنبـي وحبيبتي قـال كلماته وأغلـق جفنيه معلنة مفارقة روحه إلى بارئها.

❖ ❖ ❖

الفصل السادس عشر والختام

صرخات وآهات وشهقات ملأت الجدران

صرخت سعاد :

ـ آه يابن عمري سايبني لمين يامراد.

وتوالت صرخاتها

ـ لاااااا ، يـا سـندي ، يا ابن بطني..... قوم يـا غالي... رد على أمك يا مراد..... يا رب

يا رب.... يا رب.

انهمرت الدموع من عيني محمود و هو يغلق جفناه:

ـ أشهد أن لا إله إلا اللّه و أن محمدا رسول اللّه ، ربنا يسامحك و يغفرلك.

وانهمرت دموع سـما فلم تتمنى بأسـوء كوابيسـها أن تكون هذه نهاية مراد.

هـرع الكل للمشـفى ليقفوا بجوار الشـيخ محمـود و يحاولوا التخفيف عنه في مصابه و إكمال الإجراءات و تم دفن الجثمان و إقامة العزاء.

و بالرغم من المعاملة الجافة من سـعاد لسـما إلا أنها رفضت ترك منزلهم و عودتها لمنزل أبيها إلا بعد انقضاء العدة الشـرعية لها.

مرت الأيام و العلاقة بين سما و سعاد تزداد سوءا ، فسعاد دائما تحملها وزر ماحدث لولدها.

إلى أن حان موعد انتقال سما و عودتها لمنزل و الدها مرة أخرى و قررت أن تودعهما :

ـ عمي محمود أنا بستأذنك النهاردة إن شاء الله هارجع من الجامعة على بيت بابا ، أنا جهزت شنطتي و هآخدها معايا ، أنا باشكر حضرتك على كل اللي عملته معايا طول السنين دي كلها ، ولولا وجود حضرتك في حياتي ووقفتك معايا أكيد مكنتش هوصل للي أنا فيه دلوقتي.

ـ وهتسيبينا ليه يابنتي خليكي معانا ولو على سعاد بكره تهدى، الأحزان بتبدأ كبيرة و مع الأيام و الزمن بتقل و بتتنسى، هترجعي بيت أبوكي إزاي دلوقتي، وأخوكي متجوز و معاه ابنه ربنا يحفظهوله، إحنا عايشين لوحدنا خليكي معانا.

ـ ربنا يحفظك ويخليك ليا يا أحن أب، يعني إنت لسه شايل همي و بتفكر فيا بعد كل دا ، اطمن ياعمي أنا فكرت في الموضوع ده وإن شاء الله هاقنع بابا و آخده ونعيش في شقه صغيرة على قدنا ونسيب البيت لمحمد و مراته.

استمعت سعاد لحديثهم أثناء عودتها من غرفة مراد و التي داومت الدلوف إليها و ترتيبها يوميا واحتضان ثيابه و متعلقاته الشخصية و كأنها ستعوضها فقدان و ليدها فقلبها انشطر نصفين من فراقه، لكم تمنت أن ترى أبناءه، و الآن رأت جثمانه يوضع بالتراب، وسبب موته تريد أن تحيا من جديد ، لا ياسما ،

هذا مادار بعقلها وهي تستمتع لحديثهم وقاطعتهم قائله:

ـ ده إنت مرتبه كل حاجه بقى يا ست سما، صحيح ماهو مراد مات خلاص، و بقيتي أرمله، آه ويحقلك تتجوزي و تخلفي و تعيشي حياتك، لكن ماتنسيش و إنتي بتعيشيها إن مراد بعد ما غلط معاكي اتجوزك، و هو السبب إن الناس متكلش و شك ويقولوا عليكي كلام بالغلط، ويا عين أمه حاول كتير يقرب منك و يعيش معاكي زي أي راجل و مراته، لكن إنتي إزاي تسامحي لا مايصحش ماينفعش، ساب شغله و اشتغل شغلانه جديده علشان يليق بيكي، بالست الأستاذه المحامية مدرسة الجامعه، حبك من قلبة، كان نفسه يعوضك عن كل دقيقه حزن عشتيها، وانتي أبدا رافضه، حتى الكلمة منه و في الآخر جيتي قولتيها بصراحة، ولا همك الراجل الكبير اللي عاملك زي بنته ووقف ضد سعادة ابنه علشانك وعلشان يرضيكي، ولا معاملتي الطيبه ليكي، ضيعتي ابني مني و دلوقتي هتروحي تبدأي حياتك، بعد ما أخدتي بتارك منه.

استنكر الشيخ محمود حديث زوجته:

ـ إيه اللي بتقولية ده ياسعاد كله مقدر و مكتوب وده نصيب ومكتوبله عند ربنا.

سعاد ببكاء:

ـ لاء هي السبب.

تدخلت سما:

ـ هو حضرتك بتقولي إيه يا طنط سعاد؟ حضرتك واعية

للكلام اللي بتقوليه ده!!

بتلومي عليا في إيه؟ إني مسامحتش ابنك بعد اللي عمله معايا ، بعد ماكان سبب موت أمي ازاي تلوميني إني هامشى وإلا إني جيت عليه ، وهو يعني لما غدر بيا كنتوا عملتوا ليا إيه ، حد فيكم حس ذلي و إنكساري لما دمر فيا كل حاجه حلوه ، حد منكم جابلي حقي ، ولو سمحتي إوعي تفتكري إن جوازة مني ردلي حقي ، بالعكس ده قلل مني أكثر ، انتوا مدتونيش حق الاختيار ، و حضرتك بتقولي إن لولاه الناس كانت أكلت وشنا وهوكان مين السبب من البدايه مين اللي اغتصب ؟مين اللي عطى الناس الفرصه يتكلموا عليا ؟ اسمعيني باطنط بالله عليكي علشان ده آخر كلامي ، أنا عشت و سطكم بما يرضي الله واتعاملت مع حضرتك و عمي محمود زي أبويا وأمي ، وعلاقتي بمراد كانت زي ما اتفقنا من البداية ولو جوازة مني رفع عنى الحرج قصاد الناس ، فموافقتي على الجوازه دي رفعت عنكم حكم الإعدام ، وعن حضرتك وعمى عارتعيشوا بيه عمركم كله إن ابنكم يكون ميت بحكم محكمة لاختطاف واغتصاب انثى قاصر من النهارده أنا صلتي انتهت بحضرتك.

ثم و جهت حديثها لمحمود :

ـ وآسفه على كلامي يا عمي محمود ، وفضل حضرتك جميل عليا هيفضل طول عمرة في رقبتي دين.

خرجت سما من منزل محمود حاملة حقيبة تضم متعلقاتها الشخصية مودعه منزل الشيخ محمود للأبد ، تاركة به جميع

ذكرياتها السيئة مقررة لبداية حياة جديدة.

وصلت لمنزل والدها و استقبلتها زوجة أخيها هذه الفتاة الرقيقة الطيبه ملك التي تتعامل معهم وكأنهم أختاها و تعامل والدهم بحب بعد أن عوضها مكان والدها المتوفي و هي بعمر صغير..

رحبت بسما :

ـ حبيبتي يا سمسمه ده البيت نور برجوعك ليه.

ـ منور بوجودك يا ملك ووجود زين حبيب قلب عمتو.

ـ ده أول ما يصحى من النوم و يشوفك هيفرح أوي، ما إنتي عارفه بيحبك إنتي و هبة والآنسه رغد أكتر مني.

سما مقهقه:

ـ ده بيحب رورو و بس و معتبرها ملكية خاصة وهبة بتحكيلي على نوادرهم مع بعض.

ـهو بيحبها بس، ده وقت مابيشوفها مش بيخلي حد يكلمها بيقول أختى أنا و بس.

ـ ربنا يحببهم في بعض كمان و كمان، إحنا طول عمرنا بنحب محمد و قريبين من بعض جدا..

ـ ربنا يخليكم لبعض يا حبيبتي ومايحرمنيش من لمتكم أبدا ، أنا جهزتلك أوضتك هدخلك شنطتك، على ماتغيري هدومك، أكون جهزت الغدا و يكون عمي رجع من الشغل و محمد كمان.

سما وهي تنهض متجهه للغرفه تحمل الحقيبة عن ملك:

ـ هاتـي عنك انتي و روحي شـوفي اللي وراكي على ما أغير هدومي و آجي أساعدك في المطبخ.

ـ حاضر ياقلبي مستنياكي.

ذهبـت كل منهم إلي غرفتها ثم تعاونتا بأعمال الطهي و جلى الصحـون بعد الغذاء وصنعت سـما جميعا لهم الشـاي و جلسـوا لاحتسائة ،و قررت سما أن تفاتح و الدها بأمر الانتقال إلي منزل إيجار وترك منزل العائلة:

ـكنت عاوزة أتكلم معاك يا بابا وفي و جودك يا محمد.

ـ خير يابنتي اتكلمي.

ـ دلوقتـي يـا بابا البيت هنا بعيد جدا عن شـغلي، وحضرتك عارف إني باحضر رسالة دكتوراة

وده بيحتاج إني أتأخر في الجامعة.

سألها محمد:

ـ ويا ترى عاوزة إيه يا سما ،ماعندناش بنات تعيش لوحدها.

ـ إهدى يا أبو زين واسـمعني، أنـا مقولتش هعايش لوحدي، أنا هاشـوف شـقة إيجـار جديد ونعيش فيهـا أنا و بابـا و تكون قريبه من شغلي.

اعترض محمد:

ـ إيـه اللـي إنتي بتقوليـه ده !! وكمان عاوزة بابا يسـيب بيته بعـد العمـر ده كله وإلا إنتي اتضايقتي منـي أنا و مراتي و ابني، أنا حاليا ظروفي أحسن الحمد لله وأقدر آخد شقه لوحدي.

وقفت سما و احتضنت أخيها و هو جالس:

ـ و اللّه العظيم أبدا يامحمد إنت عارف أنا بحب ملك و زي أد إيه، لكن فعلا شغلي بعيد و إنت عارف إني باخاف أركب مواصلات لو الليل دخل عليا، لسه يامحمد مانسيتش اللي حصلي.

تألم إبراهيم و محمد و ملك لحالها فسما مهما مرت بها الايام لن تفارق ذاكرتها تلك الحادثة تفهم إبراهيم وجهة نظر ابنته:

ـ خلاص يا بنتي اللي تشوفيه، أنا موافق، من بكرة محمد يدور لنا على شقه قريبه من الجامعه، و أنا هاجي أعيش معاكي ولو إن الواد الشقي دا هيوحشني.

(واشار بيده على الصغير زين الذي يبلغ من العمر عامان)

اعترض محمد:

ـ إنت موافق إزاي يعني يا بابا وتسيبني وتمشي !!.

ـ أختك محتاجاني جنبها يا محمد وقبل أن يكمل حديثه تفاجأ الجميع بدقات يد صغيرة على باب الشقة وعلم الجميع أنها للصغيرة رغد ابنة هبة ورامين و التي أسماها على اسم جدتها، قام محمد ليفتح للطارق وما أن وجد صغيرتهم الجميله تمسك ببنطاله حتى انحنى حاملا لها مقبلا وجنتاها، انتبه على صوت هبة حين استحلفته مداعبة:

ـ لا وحياة أبوك يا محمد دخلني بالكورة اللي في بطني دي، وبعد كدا حب فيها براحتك.

قهقهت رغد على حديث زوجه ابنها والتي زاد وزنها وانتفخت

بطنها بسبب حملها الثاني:

ـ عديها يامحمد يا بني دي طول الطريق وهي مجنناني.

قهقهـة الجميع وركضت سـما تحتضن رغد الكبيره فكم اشتاقت لها:

ـ وحشتيني أوي أوي.

رغد وهي تبادلها الاحتضان:

ـ يابنت يابكاشـه لو وحشـتك كنتي جيتي تشوفيني، لسه عمك إيهاب بيقول إنه زعلان منك.

ـ وأنـا مقـدرش على زعله ده عمي إيهاب غالي عليا جدا و أنا فعلا ناوية أجي أزوره قريب ..

ـ لما نشـوف، تعالي أسـلم على الحاج إبراهيم و ملك حبيبتي والباشا حبيب تيتا رغد.

ـ زمانه أخد رودي وهربوا يلعبوا جوا.

وقفت ملك لتحية رغد فكم أحبت تلك السيدة الحنونة الرقية التي ساندت عائلة زوجها واحتضنتها.

رغد:

ـ سلام عليكم ياحاج إبراهيم، صحتك أخبارها إيه؟.

ـ أهلا وسـهلا يا سـت رغد، و الحمد لله بخير و انتي عامله ايه؟، و أخويا الغالي إيهاب عامل إيه؟.

ـ بخير الحمد لله، بيسلم عليكوا كلكم والله.

سأل محمد:

ـ مجاش ليه مع حضرتك و حشنا جدا.

ـ مشغول مع أخوك رايان نروح نباركله قريب أوي.

ـ ألف مبروك، و أخيرا قرر يستقر.

ـ اللّه يبارك فيك يامحمد أخيرا بقا قرر يرحم بنت الناس من جنانه و يرحموني من دوشتهم.

تدخلت ملك ضاحكة:

ـ لا ده بكرة يدوشوكي أكتر، و روجين هتبقى زي هبة و الاتنين هيسيبولك ولادهم ودي طبعا اسعد لحظاتك يا طنط.

ـ آه و اللّه يا ملك معاكي حق.

تدخلت هبة بالحوار بعد أن التقطت أنفاسها:

ـ أيوة كده يا رورو اعترفي إنك بتكوني سعيده و أنا معاكي.

ـ بعترف أهو ياحماتي...شوف ياحاج إبراهيم البنت...لا هبة اتغيرت أوي.

ابراهيم مقهقها:

ـ لامتقدرش تتغير عليكي انتي بس و عمها إيهاب اللي مدلعينها بزياده.

ـ وإحنا عندنا غيرهم كلهم علشان ندلعهم...ربنا يحفظهم جميعا هما وأولادهم.

أمن الجميع خلفها:

ـ اللهم آمين.

بينما اجتذبت رغد يد سما وخرجت إلى البلكونه لتتحادثا :

ـ قوليلـي بقى ياهانـم ناوية على إيه بعد مـراد اللّه يرحمه ما اتوفى.

قصت عليها سـما ماتنويه من انتقـال بصحبة والدها و متابعه عملها ولم يحلو لرغد حديثه فأجابتها :

و إنتـي شـايفه إن ده صـح ، و انتي فين حياتـك ؟إيه مالكيش نفس تشوفي ولادك زي محمد و هبه.

ـ ولادهم ولادي ربنا يعلم.

ـ لا ,ولادهم أولاد إخواتك ، انتي عمتهم أو خالتهم ، الأم غير يا سما ، إحساس الأمومه نعمه ربنا ما يحرم منها حد.

ـ أنا خايفة أفكر في الخطوة دي ، أظلم اللي ارتبط بيه و هو هيطمن وقت ما يعرف باللي حصل.

ـ بلاش الكلام الأهبل ده ، ظلم إيه إنتي كنتي متجوزه على سنة اللّه و رسوله.

ـ تفتكري مش من حقه يعرف الحقيقه؟!.

ـ ولـو لقيتي حد عارف الحقيقه وبيحبـك و هيموت عليكي هتوافقي ؟.

سما بدهشه :

ـ وده مين ده و يعرفني منين..ولا كمان هيموت عليا الحقيني بيه ياورو.

ـ انتي مفكرة إني باهزر.... على فكرة أنا باتكلم بجد ولو

تعرفي هو عمل إيه علشانك مش هتصدقي.

ـ انتي بتتكلمي بجد وإلا إيه ؟

ـآه و اللّه العظيم، و انتي تعرفيه كمان.

ـ لا بجد قوليلي مين؟ ماتحيرنيش!!.

ـ روجان ابن عم أولادي، ودكتورك في الجامعه و المشرف على رسالتك، و اللي معجب بيكي من يوم ما شافك أول مرة في فرح هبة و رامين و فضل مستني ورافض فكرة الزواج بعد ما اتعرف عليكي أكتر، وحارب و الدته المتسلطه اللي كانت رافضه إنه يتجوز واحده سبق لها الجواز، ها تحبي أقول إيه تاني؟؟.

سما و قد ظهرت على وجهها علامات الصدمة فرغد أكثرت عليها بما لا تتوقعه:

ـ معقوله دكتور روجان أنا عمري ما حسيت منه حاجه زي دي.

ـ لإنك كنتي شايله اسم راجل تاني وهو محترم ده جدا، لكن بعد وفاة مراد هو جالي وطلب مني اتدخل و أكلمك و أنا علشان عارفة إنك هتحكيله كل حاجه وعن سبب جوازك من مراد وفرت عليكي وفهمته وهو متقبل جدا كل ده وبيعشقك.

ـ إيه سبب رفض والدته؟... وليه هو بيتحداها ؟.

قالت وهي تزفر أنفاسها غضبا من تلك العنيدة التي تتصيد أي خطأ حتى ترفض طلبة:

ـ روميساء مامته شخصيه متظاهرة جدًا بتحب تكون سيدة

مجتمع ومتسلطه بشكل غريب وعلشان كده ولادها روجين وروجان كانوا دايما قريبين من جدتهم و الده إيهاب اللّٰه يرحمها لكن اطمني هي بعد ماعرفت إن ابنها مش هيتجوز غيرك وافقت ومستنيه قرارك.

ـ وماما رغد رأيها إيه؟.

ـ أمك اللي بتحبك ونفسها تشوف ولادك انتي كمان بتقولك مش هتلاقي زي روجان في الدنيا دي يحبك ويحافظ على الباقي منك ويرجعلك حياتك وضحكتك.

ـأوعدك إني هافكر.

رغد (وهي تشير بإصبعها على رأس سما):

ـ دماغك دي ناشفه أوي.

ـ لا اطمني بجد هفكر وأشوف الأمور بنظرة ثانية.

ـ تمام مستنيه و يلا بينا بقى أدخل أديهم دعوات فرح رايان قبل ما انسى.

قضى الجميع وقت عائلي ممتع مليء بمزحات هبة و سما و ومداعبات الصغار رودي وزينو وأحاديث ملك الشيقة، إلى أن عادت رغد وهبة إلى منزل رغد حيث تقيم معها بهذه الفترة حتى لا ترهق نفسها بأعمال المنزل ومستلزمات الصغيرة رغد والاعتناء بها.

عادت الحياه لطبيعتها وعادت سما لأعمالها ودراستها التكميلية بينما كان روجان يعاونها، وبدأ بالتلميح لها عن مشاعره و أظهر اهتمامة بها.

إلـى أن حـان يوم حفل زواج رايان وروجيـن والذي أقيم بإحدى قاعـات الفنـادق الكبـرى بالإسـكندريه و حضرته سـما التي تألقت بفسـتانها الأسـود و الذي أبرز جميع مفاتنها وأظهر بياض بشرتها الحليبية و لون عينها الصافي كالعسل، مما آثار روجان فقد شـعر بغيرتـه عليها من كل تلك الأعين التـي تلتهمها ،وقرر أن يحسـم الأمر و تكون زوجته وعلى اسمه بأقرب وقت ممكن حتـى يعلـم الجميع أنهـا ملكيته الخاصـة و لايحق لغيـرة النظر لها ،فذهب وجلس بأحد المقاعد بجوارها موجها حديثة لها :

ـممكن أعرف إيه الفستان اللي انتي لابساه ده؟

سما و هي تضم حاجبيها متفاجأه من أسلوبه بالحوار :

ـ هو حضرتك بتكلمني؟!.

ـ أيوة طبعا بكلمك فيه حد غيرنا على الطرابيزه ؟.

ـ لا أصـل حضرتـك أول مـرة تكلمني كـده , و بعدين ماله فستاني؟

ـ مخليكي زي القمر و الشباب كلها بتبص عليكي.

توردت وجنتاها خجلا ولم تعرف كيف تجيبه؟

ـلا و حياة أبوكي الغالي مش هينفع الكلام ده هنا خالص.

ـدكتور روجان حضرتك...

قاطعها :

ـ حضرتك إيه بس... حضرتي بيحبك و بيموت فيكي و عاوز يتجوزك... و وحياة ولاد إخواتك يا شيخه ماترفضي.

سما وقد تراقص قلبها و اقشعر جسدها فرحا :

ـ مش رافضة ، وتقدر تكلم بابا بس بشرط.

ـ كل شروطك أنا موافق عليها.

ـ عاوزة أكمل تعليمي و آخد الدكتوراه و تدعمني و تكون سندي و إوعى في يوم تخذلني.

ـ هتلاقيني دايما في ضهرك وقبل ماتحتاجيني هتلاقي إيدي ممدوده ليكي ، هافرح بنجاحك ولوفي يوم قصرت معاكي وكنت عقبة في طريق مستقبلك ، إمشي وسيبيني.

ردت بإعجاب و انبهار به :

ـ إنت إنسان رائع ، وأنا واثقه إن حياتي معاك هتكون جميله.

ـ أنا هاقوم أكلم و الدك علشان مش هاقدر استنى أكثر من كده.

وقف روجان وذهب ليحادث محمد و إبراهيم واتفق على موعد لزيارتهم بمنزلهم بالغد بصحبة عائلته وعلى رأسها إيهاب ورغد اللذان دعما الزواج.

تم عقد القران ، و أقام روجان حفل زفاف لسما بكبرى قاعات الأفراح.

ظهرت سما كأميرة من الأسرة المالكة ، ترفرف السعادة عليها و تغلفها بهالة من الطمأنينة والسرور ، ينسج أملها في الحياة القادمة و ثقتها في اللّه بأن أيام شقائها و عذاب روحها ستنتهي ثوبا متلألأ يفوق جمال ذلك الثوب الأبيض الذي ترتديه و كأنها ترتديه لأول مرة.

أمـا روجان فلا تسـتطيع الكلمات وصف سـعادته هو الآخر حين رآها تتهادي رويدا رويدا بفستانها الأبيض الفستان، و كاد أن ينبـت له جناحان حين لمح بعيونها لمعة و فرحة لم يراها بهما من قبل.

مر الزفـاف أنيقا، هادئا، محملا بكل معاني الحب و الفرح من كلا العائلتين.

❖ ❖ ❖

ومرت الأيام.....

اسـتيقظت سما من نومها على بكاء صغيريها معا فقد رزقها اللّه بهذين التوأم الرائعان اللذان يشـبهان والدهما كثيرا بشعرة الناعـم و خمريـة بشـرته و عيونـه السـوداء الواسـعه برموشـها الكثيفة.

وقفـت حائـرة بيـن سـريريهما الهـزازان، مـن تسـكت قبل الآخرمنهم فسـليم بكاؤة متواصل كأخته صوفيا، ولكنها لم تحتار كثيرا فزوجها الحبيب سـيعاونها، بعد أن أتى مسرعا من غرفـة مكتبة المتواجـد بمنزلهم حتى لا تفيق مـن نومها ليفاجأ بها قد استيقظت:

ـ حبيبـي انتـي صحيتـي علـى صوتهـم.. و اللّه جيت بسـرعه علشان متقلقيش.

ـ لا يـا قلبـي و لا يهمك، روح إنت كمل شـغلك و أنا خلاص صحيت.

روجان و هو يحمل صغيرته:

ـ حبيبة بابا هتسكت و تبطل عياط أول ما أنا وبس اللي أشيلها.

ـ يا سلام وسولي كمان حبيب مامته أهو سكت أول ما أنا شيلته.

اقترب منها حاملا ابنته بيد وذراعه الآخر ضاممـا لها من خلفها ، دافنا رأسه بعنقها يشم عبيرها الخلاب الذي دائما ما يسرق قلبه هامسا لها :

ـ ملاحظ إن سما بتغير من بنتها.

سما باعتراض:

ـ أنا تؤ ، تؤ ، إطلاقا.

ـ و اضح جدا يا عمري إنك غيرانه ، إوعي تقاومي و على فكرة ده بيفرحني جدا ويعرفني إنك لسه بتحبيني و مش نسياني و سط مشاغلك.

سما و هي تخفي رأسها بين ذراعيه القويتين بعد أن حملت صغيرتها عنه ووضعتها بسريرها بجوار توأمها :

ـتفتكر أنا أقدر انسى روحي ، إنت روحي يا روجان ، إنت اللي حييت قلبي ، بعد ماكان مات.

روجان وهو يشدد من احتضانها :

ـ انتي الأمل اللي عشت أحلم بيه لحد ما ربنا كرمني بيه وهداني بأجمل هديه يوم مارزقني منك بأجمل طفلين وكأه بيعوضنا عن السنين اللي ضاعت و انتي مش معايا.

ـ أنا عاوزة أفاتحك في موضوع وخايفة ترفض.

ـ و أنا من امتى رفضتلك طلب.

ـ بس المرة دي مش طلب ده موضوع كبير.

روجان بابتسامه:

ـ طيب ماتقولي و بلاش تدلعي عليا كده علشان انفذلك طلبك.

أخذت نفسا طويلا ثم قالت:

ـ أنا عاوزة أترشح لمجلس الشعب، أنا تميت الخمسه و عشرين سنه وخلاص أقدر اترشح.

روجان هو ينظر لعينيها يستشف منها جديه حديثها:

ـ معقولة بتتكلمي بجد!!.

ـ بجد و اللّه، عاوزة أكون نائبه في البرلمان.

ـ و أنا موافق ومن بكرة نبدأ الإجراءات.

قفزت سما من شدة فرحها، فلم تكن تتوقع موافقته بهذه السهولة و اليسر.

احتضنها و قبلها من رأسها:

ـ أنا قولتلك لو يوم و قفت في طريق نجاحك و مساعدتكيش عليه، امشي و سيبيني و أنا ماقدرش أبعد عنك و لا أعيش من غيرك و لا أنام يوم و انتي مش في حضني.

ـ حبيبي أنا عمري ما أقدرأبعد عنك، و لو إنت وافقت بس عشان ما أسيبكش فأنا مش عاوزه حاجه غير إني أكون معاك.

ـلا يا قلبي أنا و افقت علشان أنا و عدتك أحقق طموحاتك

ولإني شايف إنك جديرة بثقة الناس.

❖ ❖ ❖

و مرت فترة الترشح و الدعاية الانتخابية و التي كانت عائلة روجان بأكملها عونا لها فيها وكذلك عائلتها.

و اليوم و بعد إنتهاء المؤتمرات و انعقاد الندوات للمرشحين للبرلمان المصري و بعد أن انتهت فترة الصمت الانتخابي و بدأت لجان التصويت عملها من الصباح الباكر، والآن في انتظار نتيجة التصويت.

اجتمعت عائلة رضوان بأكملها وعائلة إبراهيم الخولي ينتظرون نتيجة التصويت و التي نتج عنها فوز الأستاذه سما إبراهيم الخولي رمز الميزان بمقعد الفئات عن دائرة....

❖ ❖ ❖

وهنا....

ارتفعت صيحات الفرحة و التهليل و احتضنها الجميع بحب و فخر.

أما زوجها و رفيق دربها وهدية الخالق لها فكانت سعادته لا يضاهيها شيء، وكانت هديته لها تلك السيارة الحديثه بلونها الأسود الراقي لكي تليق بسيادة النائبه.

وبأول جلسة لها تحت قبة البرلمان الموقر، و بعد انتخاب رئيس المجلس تقدمت النائبة بمشروع قانون جديد، ووفقت بكامل هيبتها تناقش القانون قائلة:

ـ السيد رئيس المجلس الموقر حضرات السيدات و السادة الأعضاء أتقدم لكم بمشروع قانون جديد ينص على الآتي:

١- تعديل الماده (٢٦٨) من القانون لتصبح...كل من هتك عرض إنسان بالقوة أو بالتهديد أو شرع في ذلك يعاقب بالسجن المشدد إلي عقوبة الإعدام شنقا.

٢- تحويل محضر الاعتداء وجلسات الاستماع والحكم إلي جلسات سرية لا تتناولها الصحف أو وسائل الإعلام حفاظا على السيرة الذاتية للمنتهك عرضة و مقاضاه من يتصرف خلاف ذلك.

٣- إعطاء الفتاة المنتهك عرضها عقد زواج شرعي ويلحقة عقد طلاق بائن لارجعة فيه و لا يتم إعطائها مجرد تقرير من مصلحة الطب الشرعي يقر به واقعة الاغتصاب حتى تستطيع ممارسة حياتها بشكل طبيعي و لا تخجل حين تسأل من المأذون الشرعي إن سبق لها الزواج أم لا.

أعلم سيادة الرئيس أنني أطلت على حضراتكم و طالبت بإقرار و تعديل مواد قانونية.

ولكن أملى بالله ومجلسنا الموقر أن يشرع إعطاء المغتصبة فرصة أخرى للحياه بدون إهانة وأناشد قلب كل أم وأب من حضراتكم بالموافقة على مشروع القانون.

فنحن من نشرع القوانين و بإمكاننا نغير الكثير منها شكرا لاتساع صدرسيادتكم.

الفهرس

إهداء..... ٥
الفصل الأول ٧
الفصل الثاني..... ١٩
الفصل الثالث ٣٠
الفصل الرابع ٤١
الفصل الخامس..... ٥٤
الفصل السادس..... ٦٧
الفصل السابع..... ٨٢
الفصل الثامن ٩٤
الفصل التاسع..... ١٠٦
الفصل العاشر ١١٩
الفصل الحادي عشر ١٣٠
الفصل الثاني عشر..... ١٤٢
الفصل الثالث عشر..... ١٥٧
الفصل الرابع عشر..... ١٦٧
الفصل الخامس عشر..... ١٨٠
الفصل السادس عشر والختام..... ١٩٢